مجلة
روايات أحلام
٤

ليل المرايا

www.elromancia.com

مرمورية

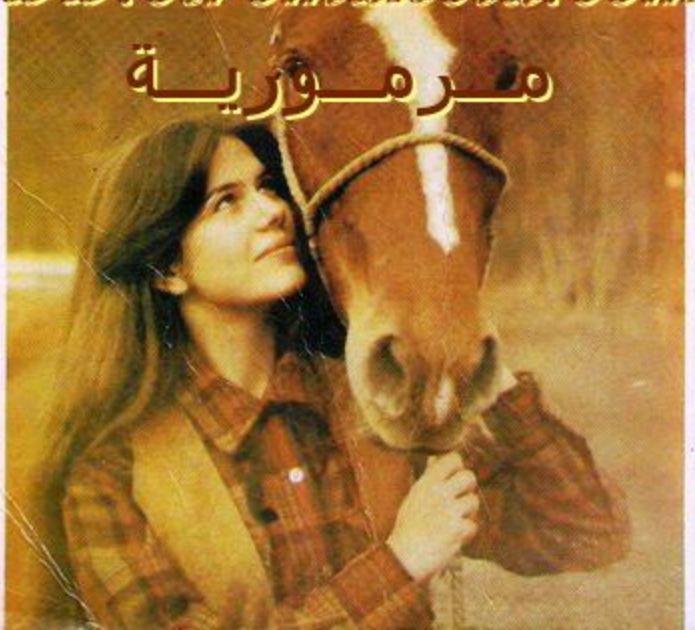

مجلة روايات أحلام

«هل تتصور أنك لم تر يوماً ألوان الأزهار أو البيوت او الثياب أو أنك لا تعرف معنى «السماء الزرقاء» لأنك لا تعرف ما هو اللون الأزرق؟ أنا أعتبر نفسي محظوظة لأنني تمتعت بنعمة البصر خمسة وعشرين عاماً وكنت قبل ذلك لا أشعر بهذه الهبة التي أغدقها عليّ ربي».

رائحة الربيع والإحساس به، أعادا كارين انغرام إلى عالم عرفته قبل أن تصاب بالعمى... ولكن هذا، وضعها فجأة في طريق برايان كالدويل...

ولم تكن تدري أن خطوة خاطئة واحدة يمكن أن تغير مجرى حياتها.

www.elmaktabeh.com

لبنان ١٥٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦ د.	مصر ٣ ج.	ليبيا ١ د.
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦ ر.	المغرب ١٠ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ ف.	تونس ١ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ٧ ر.	عُمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ عينان في الظلام

كان النسيم العليل يبعث إلى أنفاس كارين مزيجاً من الروائح الفوّاحة العطرة التي مدت خطواتها بالنشاط لتقطع المنعطفات الأربع المؤدية نحو المكتبة، كان الربيع في «أوماه» أجمل أوقات السنة ففيه الحرارة المعتدلة الناشرة أريجها في الهواء. راح الهواء يعبث بشعرها الأحمر الأصهب فتناثرت منه خصلات متلاحقة على وجهها وكم سحرتها زقزقة العصافير التي حَدَتها إلى التوقف للاصغاء والاستمتاع بلحن الربيع الخلاّب.

نقلت الكتب إلى ذراعها اليسرى ثم تابعت السير وهي تسمع حركة السير المعتادة التي تهدأ نسبياً في مثل هذا الوقت من النهار. لكن خطأ بسيطاً في خطواتها المدروسة جعلها تتعثر إلى الأمام ملتوياً كاحلها، طائرة كتبها من يدها وزمور سيارة ينطلق قوياً بينما صرير الإطارات يتصاعد حين اصطدم معصمها بقوة بمقدمة سيارة.

تناهى إليها صوت صفق باب، وخطوات مسرعة وسيل من الشتائم أتت كلها معاً يرافقها صوت مزمجر غاضب:

ـ ألم تري هذا الشيء الضخم الذي يسمّى سيارة قبل أن تطأ قدمك هذه الطريق؟ أين عقلك يا هذه؟

وعندما لم تجب، تغير الصوت الغاضب ليسألها بخشونة:

ـ هل أنت بخير؟

كان قلبها يخفق في صدرها وجسدها يتكىء على مقدمة السيارة الساخن، بينما صوتها يرتجف وجلاً.

ـ أظن هذا.

تنفس المتحدث الصعداء ليتبعه اتهام آخر:

ـ أنتم أيها الشبان تركضون في الشارع وكأنكم تمتلكونه. رؤوسكم بين الغيوم، متوقعين أن ينتبه الناس لوجودكم... كم أتمنى لو أضعك على ركبتي لأصفع مؤخرتك.

وجمدت كارين مكانها، منتظرة مضي التقريع. لكن ذاك الصوت أكمل بنبرة ملؤها نفاذ الصبر والبرودة:

ـ لو تنحيت قليلاً لأمكنني متابعة الطريق. هذا إذا كنت لا تظنين أنك تغدقين علي بالكثير.

لم يفت كارين ما في نبرته من السخرية:

ـ هلا أعطيتني كتبي لأستطيع بعدها المضي في طريقي؟

ـ ماذا؟ أوَ ألتقط كتبك وأدلك إلى الطريق مع مباركتي.. أهذا ما تريدين؟

الصوت كان الآن أكثر عمقاً وأشد غضباً.

ـ أجل... أرجوك.

ران صمت طويل، يمزجه إحساسها بالعدائية البينة وبالقوة التي ظهرت أوضح عندما أمسكها هازاً إياها وصوته الرجولي يخرج قاسياً من بين أسنانه.

ـ التقطي كتبك بنفسك أيتها السيدة الشابة، واشكري ربك لأنني لن أسلمك للشرطة بتهمة التهور في السير وسط الشارع.

تحركت خطواته مبتعدة. لقد سببت له الخوف كثيراً، ولا يمكن أن تلومه على غضبه. فقالت:

ـ أرجوك، لا تتركني هنا. أنا آسفة لأنني خطوت أمامك، ولكنني كنت أتمتع بهذا الصباح الجميل وهذا ما جعلني أخطىء في العد.

ـ أخطأت في العد؟ أخطأت في العد؟ أتحاولين أيضاً عدم الابتعاد؟

فقالت بهدوء:

ـ أنا لا أرى... لذا أعدُّ الخطوات بين منعطف وآخر... لكنني

اليوم توقفت عن العد ونسيت كم بقي لي من الخطوات لأصل هذا المنعطف.

أحست بالتفاتة حادة منه وبنظرة دهشة تكاد لا تصدق ما ترى لكن بقليل من الانتباه لاحظ أن هاتين العينين الدعجاوتين لا تنظران إليه مباشرة.

ازدادت فترة الصمت، فقالت على عجل:

ـ أرجوك... ناولني الكتب والعكاز الذي سأستخدمه ولو كُسِر.

ما عادت تسمع كلمات تبدر منه إنما حركة سريعة تبعها وضع الكتب في يدها الممدودة.

ـ العكاز لم ينكسر أين تضعينه أفي يدك اليسرى أم اليمنى؟

ـ في اليسرى لو سمحت. أوصلني إلى المنعطف وسأكون على ما يرام بعدها.

وأمسكتها يده لتقودها، ثم قال الصوت:

ـ خذي خطوتين إلى الأمام ثم صعوداً.

تنفست عميقاً ثم قالت:

ـ عذراً على ما سببته لك فليس من عادتي الخطأ لكن هذا الصباح...

هزت كتفيها متبسمة باتجاه الأنفاس التي تسمعها وكانت قد شمت عندما أعطاها العكاز رائحة عطر ذكرتها بعبير ليمون الميلاد.

أشعرتها قبضته الثابتة على ذراعها وصوته المنبعث بأنه رجل طويل القامة.

ـ أي مكان تقصدين؟

ـ أقصد المكتبة الواقعة عند الزاوية التالية.

ـ وكيف تعرفين أنها عند الزاوية التالية؟

ـ لقد سرت حتى الآن منعطفين، وهذا يعني أن أمامي منعطفاً آخر أقطعه لأنعطف إلى اليسار خمساً وستين خطوة أُتبِعُها بخمس عشرة خطوة

نحو سلم ثم ست أُخرَ نحو خمس درجات صعوداً وست عشرة خطوة لأجتاز الباب.

ضحكت ثم أردفت:

ـ هكذا ترى إن عليّ التركيز وإلا لن أنجح... حُمّى الربيع تملكتني اليوم. وأنا آسفة.

ـ بل أنا الآسف.. سأوصلك بالسيارة إلى المكتبة.

ـ لا... شكراً، سأكون على ما يرام.

ـ أنا برايان كالدويل أعرّفك إلى نفسي لئلا تخشي الركوب معي.

لم يكن الاسم يعني شيئاً لكارين.. لكنها قالت:

ـ ليس الأمر كما تظن سيد كالدويل إنما عليّ الاعتماد على الذات لذا لا داعي لأزعجك. أشكرك.

ابتعدت عن المنعطف حذرة في عدّ خطواتها، لكنها أحست به مترددا:

ـ لِمَ ذهابُك إلى المكتبة؟ هل يقرأ أحدهم لك الكتب؟

ضحكت وهي تمد إليه الكتب:

ـ بالطبع لا... أترى... الكتب مكتوبة بطريقة «برايل» وأنا أتردد إلى المكتبة كثيراً حتى أن الجميع بات يعرفني كما أنني أعرف الكتب التي عليّ قراءتها أما الكتب الجديدة التي تصل إلى المكتبة فتحتفظ لي بها موظفة المكتبة «السيدة لونغمان».

ـ فهمت... هل أنت واثقة أنك لست بحاجة إلى مساعدة لتصلي إلى المكتبة؟

ـ أجل. شكراً لك سيد كالدويل.

سمعت خطواته تبتعد وبابَ سيارته يغلق ليهدر بعد ذلك محرك السيارة بنعومة.

أكملت المسير حتى وصلت إلى مكانها المنشود فقصدت طاولة قرب المكتب ثم راحت أناملها تتحسس الكتابين اللذين قدمتهما لها

السيدة لونغمان.

كان الأول يتناول موضوع تدريس طريقة برايل للعميان والثاني يتحدث عن كيفية الحصول على كلب خاص للعميان.

أخذت تفكر بالإيجابيات التي قد يقدّمها لها كلب كهذا كالتغلب على الوحدة التي تُحس بها، لكن الحصول على هذا النوع من الكلاب يكلّف مالاً كثيراً والمنظمات التي تعمل في هذا المجال قليلة جداً حتى تكاد تقف عاجزة أمام كثرة المحتاجين إليها، آه لو تستطيع اقتناءه فما أضيق العيش دون فسحة الأمل!

كانت كارين مراسلة جوّالة لإحدى الصحف المحلية. تسجل مقالاتها على أشرطة ثم تطبعها على الآلة الكاتبة الماهرة في استخدامها ولم تكن تعتمد إلا على نفسها مع بعض المساعدة التي يقدّمها لها أحياناً تشارل الذي يعمل في الصحيفة معها ولشدّ ما كان يتمنى لو تعتمد عليه أكثر في بعض الأمور.

وأخذت الكتابين معها ثم شقت طريقها بتأنٍ عائدة إلى المنزل وسط الازدحام الكبير الذي يزداد بعد الظهر. وصلت إلى شقتها دون مصاعب تذكر.

وكانت شقتها في بناء من طابقين فيه أربع شقق، شقتها غرفة نوم وغرفة جلوس ومطبخ صغير إضافة إلى حمام ومكان خاص لوضع الملابس فخورة به لأن فيه الكثير من الرفوف التي تجعلها تميز بين الملابس الموضوعة عليه بواسطة اللمس.

كانت جارتها لورا تزورها لترتب لها ألوان الثياب، ولكنها كانت هي نفسها ناجحة تماماً في ما تفعل.

لا بد أن ما حدث لها اليوم قد أتعبها. خلعت حذاءها ثم استلقت فوق السرير، تحسست أصابعها ساعتها «البرايل» فوجدت أنها الثانية والنصف أي موعد الغداء. لكنها وعدت نفسها بتناول الغداء لاحقاً

وأدارت وجهها نحو النسيم القادم إليها من النافذة.

تمطت كارين لتصحو من سباتها. بعد ذلك جلست عندما سمعت طرقات على الباب. مدت اصبعها إلى ساعتها، يا إلهي إنها الخامسة تقريباً. ألهذا الحد كنتُ تعبة؟

صاحت بأعلى صوتها «دقيقة من فضلك» ثم أسرعت الخطى نحو الباب متعثرة بكرسي... سألت وهي تضع يدها على المقبض «من الطارق؟» فنادراً ما كان يزورها أحد باستثناء تشارل أو لورا، ولكن تشارل في مهمة لن يعود منها قبل يوم الأحد، ولورا تعمل يوم السبت.

أجابها بصوت عميق سرعان ما تذكرته.

ـ أنا برايان كالدويل.

أوه... يا إلهي... ربما ألحقت الضرر بسيارته. فتحت الباب وهي تبتسم:

ـ نعم سيد كالدويل؟

ـ هل لي أن أدخل؟

ـ أجل بالطبع.

ـ هل أيقظتك من نومك؟

ـ لماذا تسألني؟

ـ وجهك أحمر. وعلى خدك علامة حمراء أخرى.

ـ اوه... أجل لقد نمت أطول مما كنت أنوي، أرجوك اجلس.

وما إن سمعته يجلس على المقعد الكبير حتى تحركت إلى أريكة صغيرة لتجلس عليها:

ـ هل ألحقتُ ضرراً بسيارتك؟

ـ ماذا؟

بدت الدهشة في صوته ثم ضحك وهو يقول:

ـ لا، لا طبعاً. لقد كنت على عجلة من أمري في الصباح وقد

خشيت أن تكوني قد تأذيت لذا أتيت متفقداً أحوالك معتذراً عما بدر مني من كلمات فظة.

ـ لا حاجة بك إلى ذلك أنا بخير... لكن قل لي كيف وجدتني؟

ـ السيدة لونغمان دلتني إليك بعد أن أعطيتها تأكيدات عن شخصيتي تعود إلى أيام طفولتي.

ضحكت كارين:

ـ أراهن أنك قد فعلت ذلك لأنني أعرف السيدة لونغمان لكن ماذا أقنعها في النهاية؟

ـ سحري الفتاك... الذي آمل أيضاً أن يقنعك بتناول العشاء معي الليلة.

قالت مازحة:

ـ أجل... ولكنها تراك.

ـ ربما هذا هو سبب شكها في نيتي الشريفة... الوقت مبكر الآن للعشاء ولكن إذا وافقت على دعوتي فسأمرّ بك عند السابعة.

ـ سيد كالدويل... لا أظن....

ـ أرجوك... أنا وحيد في هذه المدينة الكبيرة فهلاّ أشفقت عليّ وأبعدتني عن تناول الطعام وحيداً.

ترددت... متسائلة من هو هذا الرجل.. آه لو أرى!

ـ هل أتصل بوالدتي لتكفلني يا كارين؟

فضحكت:

ـ لا... لن يكون هذا ضرورياً. حسن جداً. سأكون جاهزة عند السابعة... لباس غير رسمي. كما أمل.

ـ أجل.

وقف دون أن يتحرك نحو الباب ثم سأل:

ـ أنت لست في سن المراهقة؟

فابتسمت:

www.elromancia.com

ـ لا . . .

ـ هل لي أن أعرف كم تقتربين من هذه السن؟

ـ أنا في السادسة والعشرين سيد كالدويل. فهل أنت في عمر يخوّلك أن تكون والدي؟

ـ ليس تماماً، فأنا رجل في الخامسة والثلاثين غير متزوج، إن كان يهمك الأمر.

وقفت وهي تبتسم:

ـ سأكون جاهزة عند السابعة. أشكرك على هذه الدعوة.

ـ من يساعدك في ارتداء ملابسك؟

ـ لماذا؟ لا أحد. إن لم يعجبك تناسق ألوان ما سأرتديه لاحقاً أخبرني.

ـ حسن جداً. سأكون عندك في تمام السابعة.

سرّتها هذه الزيارة والدّعوة. وذهبت إلى المطبخ لتشرب كوباً من الحليب يعينها على تحمل الجوع إلى وقت العشاء لكنها ستعوّض عن الغداء الذي فاتها بسبب النّوم على حساب السيد كالدويل. . إنه في الخامسة والثلاثين وغير متزوج. . . هه؟ هذا أمر مثير للاهتمام. آه لو تقدر على رؤيته! أفٍ لهذه الحياة.

أخذت تفتش باصابعها الحساسة لتنتقي ثوباً أخضر بلون التفاح وحذاء وحقيبة يد خضراء تناسبه.

عندما قرع الباب في تمام السابعة كانت جاهزة.

ـ من الطارق؟

ـ برايان.

وفتحت الباب وهي تبتسم:

ـ أنا أسأل من الطارق لأن المنظار وللأسف لا يفيدني.

ـ أفهم هذا. . . كان علي أن أعرّف عن نفسي فوراً. . . لقد أجدتِ اختيار ثيابك. هل تعرفين لون الثوب الذي ترتدينه؟

ـ إنه أخضر فاتح، ومع حذاء أغمق لوناً، ولكن من الأفضل أن تتفحصه حتى لا أقع في الخطأ الذي ارتكبته يوم ذهبت إلى المكتبة متعلة فردة خمرية اللون وأخرى حمراء فاقعة.

رنت ضحكته:

ـ لا . . لم تفعلي هذا!

ـ أجل. . . ولكن لحسن حظي أنني كنت أرتدي ثوباً طويلاً جعلهم لا يرون ما أنتعل.

ـ ومن دلّك على خطأك؟

ـ من كنت معه. وكنت في ذاك الوقت لا أعرفه جيداً.

ـ وماذا كانت ردة فعله؟

رفعت رأسها ثم راحت تفلد لهجة تشارل المتعجرفة قليلاً:

ـ حسناً يا كارين. . . يبدو أن من الأفضل لك أن تتزوجي ليساعدك زوجك على انتقاء ثيابك بشكل لائق.

ـ ما كان ردك؟

ـ سألته لماذا لا يستطيع مساعدتي على ارتداء ملابسي دون زواج. وقبل أن تسألني إذا كان صدم لهذا الجواب، أقول لقد أمضى أسبوعين قبل أن يطلب مني الخروج معه ثانية.

أشارت ضحكته إلى أنه فهم ما جرى.

ـ كارين انغرام. يعجبني هذا الاسم، ولا أحب أن يتغير مهما يكن الاسم الآخر. الجو بارد، أليس لديك سترة خفيفة؟

بعد لحظة وضع السترة على كتفيها وخرجا إلى سيارته. وما إن عرقب في المقعد الفاخر حتى تنفست عميقاً وهي تتلمس فرش المقعد الذي دلت رائحته على أنه جديد.

ـ لقد اشتريتها منذ سنة، ولكنني نادراً ما أستخدمها لأنني أعتقد أن «الشيروكي» ذات الدفع على أربع إطارات أكثر إفادة لي حيث أعيش. . . أنا لا أعرف إلا بعض المطاعم في مدينة «سولت لايك». . . فهل تثقين

بي؟

ـ بالطبع.

عندما توقفت السيارة سألت:

ـ هل وصلنا إلى مطعم «مارسيلانو»؟

وقبل أن يسأل هزت بأنفها وقالت:

ـ أستطيع أن أشم رائحة لحم العجل المشوي الشهير هنا.

لمس ذراعها بخفة ليقودها إلى مدخل المطعم:

ـ هل أكلتِ هنا من قبل؟

ـ نعم منذ فترة. لكنني ما زلت أذكر أن طعامهم لذيذ شهي.

اقترب منهما الساقي، فسألها برايان:

ـ هل أطلب أنا الطعام؟

ـ أرجوك...

بعد أن ابتعد الساقي عنهما سألته:

ـ هل سكنت في المدينة حديثاً سيد كالدويل؟

أجابها مؤكداً على قوله:

ـ بما أنني لست عجوزاً فأنا أطلب أن تناديني باسم برايان.. أنا من سانتا فاي، لكنني أقوم بزيارة هذه المدينة.

ـ لقد ذهبت إليها يوماً. إنها جميلة.

ـ جميلة؟... وكيف عرفت هذا؟

ـ فقدت البصر منذ عام مضى، وكنت هناك في أواخر الخريف حيث تساقط الثلج قبل أوانه.

ـ ماذا أصابك حتى فقدت البصر؟

ـ استيقظت يوماً وأنا عاجزة عن الرؤية أما كيف ولماذا فهذا ما لا يعرفه أحد.

ساد صمت قصير تبعه صوته سائلاً:

ـ وما هي فرص ارتداد بصرك إليك؟

ـ الله أعلم.

علمت من اقتراب صوته منها أنه قد مال إلى الأمام وهو يسألها:

ـ من هو طبيبك؟ هل قابلت أخصائياً؟

فابتسمت:

ـ ولماذا؟

ـ لأن عليك استشارة أعلم الأطباء وأمهرهم في مثل هذه الحالة.

ـ أنا الآن أكثر اهتماماً بالحصول على كلب قيادة مني بالحصول على اطباء لا يعلمون عمّا يبحثون.

ـ وما الذي يمنعك من اقتناء كلب.

ـ المال والكلب نفسه. فلو اشتريت هذا الكلب لمُنعت من إيصاله إلى شقتي لأن مالك المبنى لا يسمح بذلك، أضف إلى ذلك أن سعره غالٍ وأنه يكلّف الكثير من الطعام والرعاية.

ـ كنت أعتقد أن لا إشكال في استخدام كلاب العميان في أي مكان.

ـ تستطيع التجول معها أينما كان، ولكن هناك قوانين ضد اقتناء الحيوانات في بعض المناطق مهما كانت الأسباب.

ـ لو انتقلت إلى مكان آخر أيسمح لك باقتنائه؟

وأقبل الساقي حاملاً طلباتهما. أخذت تشم رائحة الطعام:

ـ رائحته جيدة، وأنا جائعة. لقد نمت وقت الغداء.

ـ هناك عدة أنواع من السلطة... أتفضلين نوعاً ما؟

ـ السلطة المشكلة.

ـ لا أقصد الازعاج... إنما هل تستطيعين تناولها دون مصاعب؟

ـ أجل... حقاً. شكراً لك. إذا اخطأت تظاهر أنك لا تعرفني..

قال ضاحكاً:

ـ أعلميني إذا احتجت إلى شيء.

أثناء الطعام أعاد سؤاله الأول:

ـ لو انتقلت!

www.elromancia.com

ـ لا أريد الانتقال. فأنا أعرف منطقتي أعرف الباص الذي يوصلني إلى عملي، والبقال عند الزاوية وسبيل الوصول إلى المكتبة دون أن أقتل نفسي بقليل من التركيز.

فزفر أنفاسه وقال:

ـ لقد اقتربت منك كثيراً... وليس الأمر مضحكاً لي بعد. ربما بعد ستة أشهر من الآن أستطيع أن أضحك.

ـ بعد ستة أشهر من الآن ستكون في سانتا فاي وعندها لن تتذكر أبداً أنك كنت في مدينة «سالت ليك».

ـ هذا بعيد الاحتمال... أليس هناك أبنية في محيطك تسمح بإيواء الكلاب؟

ـ لا أعرف شيئاً عن المحيط هناك. لو استطعت الحصول على مال يكفي لشراء الكلب، مطمئنة إلى أننا لن نموت جوعاً فسأفكر عندها بالبحث عن شقة أخرى.

ـ هل لديك عائلة هنا؟

ـ لدي شقيقة متزوجة في «الباكويرك».

ـ ثمة منظمات عديدة تُعنى بهذه الأمور التي تعانين منها. على سبيل المثال نادي «الليونز».

ـ نعم هذا صحيح. لكنني حديثة العهد في هذا المُصاب ولديهم لائحة طويلة مكتظة بأسماء أناس ينتظرون منذ سنوات خاصة الأطفال منهم... هل تتصور أنك لم تر ألوان الأزهار أو البيوت أو السماء الزرقاء من قبل؟ وأن لا تعرف معنى «السماء الزرقاء» لأنك لا تعرف ما هو اللون الأزرق؟

أجابها بعد صمت قصير:

ـ لا... لا أتصوّر ذلك.

ـ أتعلم أنني من المحظوظين فقد تمتعت بنعمة البصر خمساً وعشرين عاماً وللأسف ما كنت أشعر بهذه النعمة التي أغدقها عليَّ الله

لأنني ما حسبتني سأفقدها يوماً.

ـ لا تبدو المرارة عليك.

ورفعت رأسها وهي تنظر إليه بعينين صافيتين يصعب أن يصدّق المرء أنهما لا تريان.

ـ في بعض الأحيان أبكي لأتفه الأسباب.

ـ مثلاً؟

ـ حسناً.. أحب مثلاً أن أعرف لون عينيك وشعرك. آه... أعرف أنك ستخبرني.. لكن هل ستكون صادقاً عندما تقول إن عينيك خضراوان في حين أن إحداهما خضراء والأخرى زرقاء.

تنهدت مضيفة:

ـ إذا كنت ترى بهما فلا يهم اللون. كانت المرة الأخيرة التي بكيت فيها الأسبوع الماضي يوم تساقط المطر غزيراً. كنت أشعر بقطراته تطرق وكم أحببت حينها أن أرى قطرات الماء وهي تقع ثقيلة على البرك التي يسبح فيها البط واضعاً رأسه تحت جناحه اتقاء من البلل... يا إلهي إذا مضيت في سرد مثل هذه الأمور فستحسبني عاطفية.

غير موضوع الحديث على الفور ثم أخذا يضحكان وهما يتناولان الفاكهة وعندما خرجا من المطعم قال لها وهما في السيارة:

ـ أخبريني... ماذا تفعلين عادة مع الرجل الذي يخرج معك بما أنك لا تذهبين إلى السينما أو المسرح؟

ـ نجلس معاً أقرأ له أحياناً بعض الشعر من كتب «برايل» و...

ـ تابعي...

ـ لا شيء... أحياناً أذهب إلى التزلج إذا كان معي من لا ينزعج من التصاقه الدائم بي.

ـ لم أتزلج منذ سنوات.

ـ هل ترتدي ثياباً مناسبة؟

ـ ألا تظنين أن ثياب العمل تناسب؟ هل هناك حلبة قريبة؟

ـ إذا كنا في شارع أندلوسيا استدر يساراً عند غرانستون وبعد أربع منعطفات تستطيع رؤية اللافتة.

أحست بالسيارة تنعطف ثم سألها:

ـ وكيف عرفت أننا في شارع اندلوسيا؟

ـ لم أعرف فعلاً، ولكن مع بعض الحسابات استطعت أن أخمن. عندما بدأت العمل في الجريدة زودني نادي «الليونز» بخريطة للمدينة على طريقة «برايل» اعتمدتها كثيراً حتى استظهرتها.

ـ هل الحلبة هي المبنى الذي يبدو وكأنه «ستاديوم» كبير عند اليسار؟

ـ أجل.

فتح باب موقف السيارات ثم سمعته يدفع ثمن البطاقة ليعود بعد لحظات قائلاً:

ـ لا يبدو المكان مكتظاً.

ـ ثمة مباراة كرة قدم محلية سيشاهدها جميع الناس لذا أعتقد أن المكان سيبقى هادئاً.

بعد أن استأجرا أدوات التزلج انتعلت حذاء التزلج بنفسها تاركة له أمر تثبيته، ولما حاول مساعدتها للوقوف شعرت أنها قريبة منه فرفعت يدها إلى ذقنه وحركت أناملها بسرعة على فمه الذي انفرج دهشاً بعد ذلك تابعت يدها مسيرها إلى أذنه اليمنى فخدّه وحاجبيه الكثيفين، نزولاً إلى أنفه ففمه مرة أخرى وصولاً إلى ياقة قميصه.

ـ لماذا كل هذا؟ (سألها)

ضحكت:.

ـ أريد أن أصفك فيما لو أضعتك.

ـ شعري أشقر، وعيناي زرقاوان فاتحتان.

ـ حقاً؟

ـ أجل.

ـ ظننت لوهلة أن شعرك بني وعينيك أيضاً.

ـ لماذا؟

ـ الشعر على ذراعك كثيف وحاجباك أيضاً. وعادة الشقر لا يملكون هذا الشعر الكثيف.

ـ هل العمى يجعلك خبيرة في علم النفس.

ـ علم نفس؟ لا.. العمى يرهف الإحساس بالأشياء فقدرة البصر تنتقل إلى الحواس الأخرى.

بعد برهة قال:

ـ هيا بنا.

ـ حسناً.

قادها برايان إلى الحلبة والموسيقى الصاخبة تصدح، وبعد انتهاء القطعة الموسيقية توجه بها إلى الجانب واستندا إلى القضيب الحديدي، وهما يتنفسان بصعوبة فقالت له:

ـ لا بأس بك خاصة أنك لم تمارس هذه الرياضة منذ مدة.

تناهت لأسماعهما موسيقى الدانوب الأزرق فجذبها برايان بين ذراعيه إلى أن التصق جسداهما ثم راحا يتمايلان مع أنغام الفالس الناعمة. وما إن توقف النغم، حتى توقف ولكنها بقيت بين ذراعيه حيث تستريح يداها على خصره... وتنهدت رافعةً رأسها إليه.

ـ لقد كان هذا جميلاً... شكراً لك.

كانت ذراعاه تحيطانها بدفء إلى أن ارتفعت إحداهما لتلمس شفتيها:

ـ أنا أراهما جيداً لكنني أريد أن أتأكد إن كانتا ناعمتين كما تبدوان.

ولم يلبث أن انتقلت أنامله إلى ذقنها لينحني بعد ذلك إليها معانقاً وقد انبعثت إليها دماء الحياة فيّاضة من جديد.

انحنت نحو المقعد الخشبي، وهي تشعر بالدم يغلي في عروقها أما هو فقد انحنى لينزع حذاء التزلج من قدميها بلطف ويلبسها حذاءها قبل أن

يتحرك مبتعداً لتسليم أحذية التزلج وجلب أغراضهما.

ـ هل أنت مستعدة؟

لم يتفوها بكلمة اثناء انتقالهما إلى شقتها لكن عندما وقفا أمام الباب سألها:

ـ هل لي أن أدخل يا كارين؟

ـ أجل...

دخلت إلى الغرفة، وعندما أحست أنه ليس إلى جانبها قالت:

ـ برايان؟

ـ أين زر النور؟

ـ أوه... أنا آسفة.

بعد لحظة أضيء نور مصباح صغير على الطاولة، وقالت:

ـ لا أنوار في السقف فأنا لا أحتاجها كما تعلم.

ضحكت. فقال لها وهو يراقب تحركها الواثق في الغرفة:

ـ هل تستفيدين من عماك؟

ـ العمى لا يقدِّم أي فوائد. فجلّ ما يعطيه هو الوحدة والظلام الأبدي.

لوحت بيدها نافذة الصبر ولم يلبث أن تبدلت نبرة صوتها:

ـ هل تحب أن تشرب شيئاً؟

ـ أجل بعض القهوة. دعيني أحضرها.

هزت رأسها رافضة. ثم تحركت نحو المطبخ وصولاً إلى البراد، أخرجت الإبريق ووضعته فوق النار، ثم حضرت فنجانين وبعد قليل صبت القهوة وأعطته إياها. بعد أن جلس نزعت حذاءها ثم انزلقت نحو الأرض لتجلس قرب المقعد الذي جلس عليه.

ـ ماذا تفعلين طوال اليوم عدا القراءة والمشي؟

ـ أعمل...

ـ تعملين؟

ـ طبعاً. أنا محررة في جريدة وناجحة في عملي. أعلم أنني أعيش في الظلام. ولكن عليكم أنتم المبصرون أن تعلموا أن أمثالنا غير عاجزين كل العجز. فنحن نختلف عنكم فقط.

مدت يدها إلى فنجانها لكنها أخذت فنجانه خطأ، فأوقفتها يده قبل أن ترتشف:

ـ يمكنك أن تشربيه، ولكنه لي.

ارتفع اللون إلى وجهها وهي تهز رأسها:

ـ يبدو أنني سأعتذر لك دوماً عن شيء ما، ولكن لا بد أنني أبعدت فنجاني كثيراً.

ـ قليلاً... خذيه، فلنعد للحديث عن العمل فالفضول يكتنفني وأريد أن أعرف كيف تحررين الأنباء.

ـ أستخدم التسجيل في المقابلات حتى الهاتفية منها، ولعلمك أن مقالاتي مراقبة كمقالات الآخرين تماماً.

ـ مع من تعملين؟

ـ أعمل لأيربي ايسترسون في جريدة «صن سيت».

ـ أجل... لقد سمعت عنه. لقد لاقى نجاحاً كبيراً في الاتحادات من خلال افتتاحياته.

ـ أجل... لقد منحني فرصة، لكنه ما كان ليبقيني لو لم أنل استحسانه. وأنت يا برايان ما عملك؟

ـ لدي مزرعة مواشي بالقرب من سانتا فاي.

ـ أتذكر أن معظم المنطقة جبلية، فكيف تربي المواشي في الجبال؟

ـ هناك الكثير من السفوح والتلال المنبسطة تجعل المنطقة رائعة لتربية الأبقار.

ـ هل أنت «راعي بقر» حقيقي شريف.

فضحك:

ـ أنا أعمل في المزرعة مرتدياً القبعة منتعلاً الحذاء العالي، والجينز

فهل هذا يجعلني راعي بقر؟

حاولت أن ترفع رأسها إليه لتتكلم ثم تراجعت. فسألها:

ـ وماذا الآن؟

ـ لست أشقر. راعي بقر أشقر؟!!

ـ يا لهذا المنطق. ألا أبدو أشقر؟ كيف تعرفين الأشقر من الأسمر أو الأحمر. أمن الصوت؟

وأخذ يضحك، فوقفت ثم تقدمت نحو مقعده لتجلس على ذراعها ومدت يدها إلى شعره، من مقدمة جبينه إلى الخلف لتلمس ندبة على وجهه لم تكن قد لمستها من قبل. ثم انتقلت إلى ذقنه المربعة تقريباً لتهبط يدها بعد ذلك إلى قميصه لتفك منه زرين ولتدسّ يدها في صدره.

ـ لو كنت أشقر، لكان شعر صدرك أنعم من هذا إنه خشن.

قال بصوت خفيض:

ـ هل تتفحصين اصدقاءك الرجال كلهم على هذا النحو؟

ـ لم أشعر بالفضول نحو أي منهم من قبل.

سحبت يدها ثم سارعت إلى الابتعاد عنه لكنه منعها عن ذلك إذ أمسكها ثم أجلسها على ركبتيه، وقال:

ـ آن لي أن أقوم ببعض الفحص بنفسي.

وأخذ يتلمسها برقة، إحدى يديه تمسك برأسها والأخرى تمر على ظهرها وهي تضغط عليها بلطف بينما راحة يده تتحرك بدوائر صغيرة على انحاء جسدها.

امتدت يدها خلف رقبته تتلمس شعره الكثيف. وقد ازداد ضغط يديه واتجه وجهه نحوها متطلباً متسائلاً... أحاطتها ذراعاه فترة طويلة ثم ابتعد وجهه عنها.

توقفت يداه عن تلمسها ووقفت هي مبتعدة عن ركبتيه لكن ذراعه الممسكة بها لم تسمح لها بالابتعاد عنه كثيراً فوقف وأحاط خصرها

بذراعيه. انتظرت متسائلة أيكون قلبها وحده هو المُصدِر كل هذه الضجة. كانت تشعر بشفتيه فوق شعرها.

ـ أنت محقة يا كارين... أنا أسمر وشعري يكاد يكون شديد السواد، أما عيناي فبنيتان.

ـ لماذا ادّعيت العكس؟ بالتأكيد...

ـ لم أكن أعتقد حقاً أنك تستطيعين معرفة الشخص من خلال الملمس والسماع وما كان علي أن أشك فيك.

تركها وهو يضحك، ثم أردف قائلاً:

ـ أنت مدرسة لأمثالي يا كارين. عندما يعطيك ايسترسون إجازة تعالي إلى «سانتا فاي»... سأعرّفك إلى مزرعتي التي عشت فيها طويلاً حتى بت قادراً على أن أصفها لك أدقّ الوصف.

ـ وهل ستغادر «سالت ليك» قريباً؟

ـ أجل... سأغادرها في الصباح. المسافة طويلة وأريد أن أكون هناك يوم الاثنين.

وأمسك بيدها ثانية.

ـ سأحاول أن أتذكر كلامك، ولكن النظر إليك يجعل الأمر صعب علي. آسف لأنني حاولت خداعك لكنني سررت بالتعرّف إليك... الوداع يا كارين... واعتني بنفسك.

سمعت الباب يقفل... ثم وقع خطواته السريعة وهو يسير نحو سيارته صافقاً الباب خلفه أما هي فعادت إلى وحدة غرفتها الصغيرة.

●●●

٢ ــ عندما يرى القلب

أخذت تتساءل عن سبب العناية التي ارتدت فيها ثياب نومها وتساءلت أيضاً عن سبب الرغبة الجارفة إلى رؤية شفتيها اللتين لمستهما أصابعه القوية وهل ستبقى ذكراه على ما هي... كانت تتساءل لماذا لم يخطر ببالها من قبل أن تفكر بالأوقات التي عانقها فيها تشارل. هي تكاد لا تذكر ردة فعلها على عناق تشارل الذي لم يبعث فيها إثارة تذكر كما أنها تكاد لا تذكر أن مشاعرها قد تحرّكت ولو قليلاً يوم تحسست قسماتِ وجهه وشعره. أما مع برايان فقد كان لملمسه فعل الكهرباء الذي اجتاح كيانها اجتياحاً. يا ترى ما هي تلك الندبة على وجهه؟ هل هي «غمازة»؟ أم أنه جرح؟ هل هو بشع؟ لعله متجهم أما قبيح فلا. لقد قال إنه أسمر... ولكن إلى أي مدى؟ معروف أن سانتا فاي ملأى بسكان تعود أصولهم إلى الهنود الحمر. أهو من أصل هندي؟ وهل اسمه انكليزي؟ كيف تعلم وهي لا تفهم كثيراً بعلم الأنساب ولا تعرف إلا القليل عن منطقة «سانتا فاي».

استطاعت هذه الأفكار المتضاربة أن تُخلدها إلى نوم عميق ظنت فيه أن ما رأته في يومها لم يكن سوى حلم عذب.

نهار السبت، بعد أسبوعين من لقائها ببرايان كالدويل راحت تنفض الغبار عن أثاث شقتها ولما وصلت يدها إلى الطاولة حيث تبادلت معه فنجان القهوة ابتسمت وهي تتذكر عرضه «خذي فنجاني إذا رغبت».

كانت بعض اخطائها تحرجها قليلاً لكن ما حدث معها يومها أثار فيها رغبة كبيرة فقد سرها أن تضع شفتيها حيث كانت شفتاه لامستا أطراف

الفنجان.

قطع رنين جرس الباب أفكارها، فاستدارت بعد أن تأكدت من ابتعادها عن الطاولة ثم خطت نحو الباب. وسمعت صوتاً يقول:

ـ أنا ايربي ايسترسون يا كارين.

ترددت قليلاً، ثم فتحت الباب.

ـ سيد ايسترسون. ادخل ماذا جاء بك؟

ـ حسناً يا كارين يبدو أن ملاكك الحارس يعمل وقتاً إضافياً يوم السبت. لقد وصلني هذا إلى المنزل بالبريد الجوي عند السابعة من هذا الصباح...

ـ وما هو «هذا؟»

سمعته يتحرك ثم قال:

ـ مدي يدك.

مدّت يدها بتردد ففاجأها ملمس فرو كثيف وأذنين طويلتين وقوائم أربع، كادت أنفاسها تحبس أو تنقطع لما تلمس لكنها استطاعت أن تصيح:

ـ اوه... اوه

عادت يدها نحو الرأس الكبير، ثم فوق الوجه والأنف الأفطس. ثم التفت ذراعاها حول رقبة نحيلة لكن قوية، وارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها وهي تحتضن الحيوان، الذي وقف جامداً يسمح لها باكتشاف جسده دون احتجاج.

ـ ولكن أين... من...؟

ـ وصل هذا الحيوان بالبريد لأسلمه إلى كارين انغرام. أمّا المرسل المجهول فقد فتح حساباً في مصرف ستاير لإطعام هذه الكلبة والعناية بها. وهي كلبة لها من العمر سنتان، ألمانية سوداء تعود إلى أحد الرعاة. كما أنه لدي عنوان شقة تقع في الجوار مسموح فيها باستخدام الكلاب.

جلست كارين على الأرض تستمع إلى صوت رئيسها عاجزة عن

التصديق بأن ما حلمت به طويلاً قد نالته.

ـ لست أفهم. هل هي لي؟ ولكن لماذا؟

سمعته يضحك.

ـ لقد أخبرتك كل ما أعرفه يا كارين، ولا أخفي عنك فضولي الكبير فبينما كنت حائرة في أمرك تفكرين كيف تحصلين على كلب وكيف تدربينه أو تطعمينه تجدين فجأة بين يديك كلبة كهذه. لا بد أن لك أماً ساحرة قد لوحت بعصاها ملبيةً طلبك.

أو أنه عرّاب. لمعت الفكرة فجأة في ذهنها... برايان كالدويل... ولكن رعاة البقر لا يلوحون بالعصا السحرية ولا يحققون خلال أسبوعين ما عجزت عن تحقيقه في شهور. حساب في المصرف وشقة؟ الأمر لا يبدو معقولاً.

ـ أتعلمين... ربما أحد مقالاتك قد أصابت وتراً حساساً في قلب ما يا كارين. ولكن مهما كان الأمر، فأنت من تلقيت الهدية، الأوراق كلها باسم كارين انغرام، ولا مجال للجدال، أما هذه الشقة فعليك البقاء فيها إلى أن تنتقلي إلى شقتك الجديدة.

ووقف ايربي:

ـ لدي في السيارة بعض الطعام إضافة إلى رسن وطبق وصلا برفقة هذه الكلبة.

لم تتحرك «ألسي» بل انتظرت بهدوء قرب كارين، وسألتها:

ـ من أين أتيت أيتها العظيمة؟

تلقت من الكلبة قبلة مبللة على وجهها، وسمعت ايربي يعود إلى الغرفة ثم يذهب إلى المطبخ.

ـ الطبق والرسن على الطاولة، والطعام على الأرض... كل شيء على ما يرام.

ـ أجل سيد ايسترسون... شكراً لك.

بعد أن غادر ايربي جلست كارين على الأرض فدارت ألسي حولها ثم توقفت. لا يبدو أنها تحتاج إلى كثير من التدريب. عادت أفكارها إلى برايان كالدويل فوجدت نفسها أمام حائط مسدود. لكن لِمَ كل هذه الحيرة التي تحس بها، المهم أنها قد نالت ما تصبو إليه: كلب وشقة من متبرع مجهول بعد زيارة غريب لها؟

قالت لنفسها: لا تتساءلي كثيراً يا كارين... خذي الكلبة واسعدي.

كانت كارين تحس مع مضي الأيام أن ألسي طيعة، واثقة من ذاتها وعندما حل يوم الجمعة، وجدت أنها وألسي ستنجحان معاً.

أمضت نهاية الأسبوع وهي تسير ما بين الشقتين تكتب قصة حصولها على الكلبة في وقت كادت تيأس فيه. مركزة على المعنويات التي تحسّ بها لثقتها الكاملة بالكلبة.

بعد ظهر يوم الأحد أنهت مقالها لجريدة يوم الاثنين، وأقبل جوستن كيلي، محرر الاجتماعيات، ليأخذ المقالة. قائلا إنه قد يضطر إلى حذف بعض الكلمات.

عندما رن جرس الهاتف كانت تقف أمام النافذة المفتوحة، حيث الهواء يتلاعب بالستائر.

ـ كارين تتكلم.

أجابها صوت هادىء:

ـ مرحباً كارين.

وخفق قلبها بسرعة فصاحت:

ـ برايان... أين أنت؟

ـ أنا في فندق هوليداي ان في المدينة.

ـ أين في المدينة؟

ـ في سولت لايك.

حبست أنفاسها، ثم قالت:

ـ هل سأراك؟ لدي الكثير لأطلعك عليه كم ستمكث هنا؟
ـ إلى الغد. أتريدين رؤيتي يا كارين...؟ رؤيتي؟
فضحكت:
ـ اوه... هل تستطيع أن تأتي إلى هنا؟
ـ أجل... سأكون عندك بعد نصف ساعة إذا كان هذا ملائماً.
ـ أجل...
وما أن وضعت السماعة، حتى توجهت إلى الخزانة فاختارت ثوباً حريرياً أبيض، له حزام أبيض وبني.
عندما رن جرس الباب كانت تأمل أن تبدو جميلة.
ـ أنا برايان يا كارين.
فتحت الباب وهي تبتسم.
ـ أهلاً يا برايان.
لكنه لم يدخل، بل أمسك بيدها وجذبها نحوه. ليعانقها عناقاً حاراً كاد يقطع أنفاسها. وأخذ نفساً عميقاً، ثم قال:
ـ ما هذا؟
ـ أتعني ألسي؟ أليست جميلة؟ هل لك أن تخبرني؟
قال وهو يغلق الباب ثم يجلس على الأريكة:
ـ لست أفهم.
شرحت له ما حصل، ثم أضافت:
ـ كنت الوحيد الذي فكرت أنه قد يجشم نفسه كل هذا العناء. إن ذلك قد كلفك مبلغاً.
ـ أنت تطرينني يا كارين... لكنني لم أفعل ذلك.
فتنهدت:
ـ لقد ظننت... لكنني لا أعرف بماذا سأفكر الآن.
ـ لا تفكري... تمتعي بالأمر فقط.
ـ حسناً... ماذا تفعل في سولت ليك؟

ـ إنها محطة عابرة... هل لديك خطط للعشاء؟
ـ لا.
عندما عادا من العشاء، أسرعت ألسي لاستقبالهما عند الباب، وقد بدا السرور عليها بلقاء كارين بعد غيبتها القصيرة. قال برايان:
ـ أنت تدللينها، فهي لا تريدك أن تبتعدي عن ناظريها.
ـ هل تحب الكلاب؟
ـ أجل... لدي عدة كلاب في المزرعة.
تحركت لتجلس على مقعد، لكنه قال لها:
ـ اجلسي معي هنا على الأريكة... أريدك أن تزوري المزرعة مدة أسبوع. سيكون لديك عطلة في الرابع من تموز؟
ـ لست أدري، ولكن بما أنني لم أحصل على إجازتي بعد فربما آخذها. لكن عليَّ أولاً أن اسأل السيد ايسترسون الذي عليه ترتيب الأوضاع.
ـ سأسافر غداً لكني سأتصل بك يوم الثلاثاء لتعطيني إجابتك النهائية بعد أن تتحدثي إلى رئيسك. هل تريدين زيارتي فيما لو نلتِ الإجازة؟
ـ نعم سأحب ذلك.
وقف برايان استعداداً للذهاب فوقفت معه مدّعية الهدوء خشية أن يعرف حقيقة مشاعرها نحوه. فهي لا تريده أن يذهب، وأدارها نحوه فمدت يداها لتلمس وجهه بادئة بأطراف ذقنه ممتدة إلى الندبة على خده الأيسر، فضمه منتقلة إلى كتفيه...
ـ هل هذا هو أبعد ما ستذهبين إليه في استكشافك لي؟ (سألها)
همست:
ـ أجل.
جذبتها يداه من خصرها ثم شدّها إليه وقد راحت شفتاه تقبلان عيناها المغمضتين فطرف أنفها لتستقرا على ثغرها بعد ذلك في عناق بدأ لطيفاً

ليتحول بعد ذلك عميقاً متطلباً بينما يداه تلمسان أنحاء جسدها بعمق أكبر. أما يداها فقد تعلقتا بعنقه بقوة. رفع رأسه ثم نظر إليها:

ـ كارين؟

وتنهدت وهي تنسحب من دفء ذراعيه، وعيناها البنيتان القاتمتان تحدّقان في الظلام.

ـ لا يجب أن أفعل هذا. ولكن مشاعري تعوض عن شعوري بالذنب.

ـ أتشفق علي؟

سؤالها غير المُترقّب جعله يقطب حاجبيه وقد تردد لحظة قبل أن يجيب:

ـ نادراً ما أعانق امرأة شفقة ولا أستثنيك أبداً، لأنني أستمتع بصحبتك كثيراً.

ـ شكراً على قدومك وعلى العشاء الذي قدمته لي.

ـ سأتصل بك مساء الثلاثاء يا كارين.

تحدثت مع ايربي في صباح يوم الاثنين، فقال:

ـ سأقول لك ماذا سنفعل... سنحضر جميعاً لنتقل أغراضك إلى الشقة الجديدة مساء الثلاثاء وستستلمين الشقة الجديدة أول أيام الشهر وفي الرابع منه أي يوم السبت إذا استطعت الحصول على حجز تسافرين وإلا فستنتظرين إلى ما بعد نهاية الأسبوع أي بعد عودة كل من يقضون إجازاتهم.

ـ اوه... شكراً لك سيد ايسترسون.

ـ الأفضل أن تسحبي راتبك اليوم وأن تسعي للحجز بسرعة. ما رأيك بكتابة مقال عن أول رحلة لك في الطائرة برفقة كلبة تقودك؟

وقالت وهي تعده:

ـ ستحصل على المقال.

اتصلت من مكتبها بمكتب الطيران الذي أعلمها بأمر غاص له قلبها:

ـ آسف... ليست لدينا أمكنة ليومي السبت والأحد. لكن قد أعطيك إن شئت حجزاً ليوم الاثنين ظهراً في السادس من تموز إلى سانتا في؟

ـ أجل... أرجوك... احجز لي في السادس من تموز على أن تكون العودة يوم الأحد في الثاني عشر من تموز ولا تنسى أن تؤكد لي الحجز. اوه... وهناك شيء أيضاً... معي كلبة قيادة... هل يمكن أن تسافر معي؟

ـ أجل... يسمح لكلاب القيادة بالسفر على أن تبقى مع صاحبها طوال الوقت.

ـ عظيم... اسمي كارين انغرام.

ـ لحظة من فضلك...

بعد قليل من الصمت جاءها صوت موظفة أخرى:

ـ ألو... آنسة انغرام؟ هناك حجز باسمك لرحلة الرابع من تموز ظهراً، إلى سانتا في... هل أنتما اثنتان؟ الحجز قام به السيد برايان كالدويل والتذاكر أرسلت بالبريد إلى الشقة «أ» رقم «١٠١» في ابلينون.

صعقت كارين للخبر حتى وجدت صعوبة في ابتلاع ريقها.

ـ لا... لا. إنا وحدي ولكني لم أكن أعرف أن لديه الوقت لإجراء الحجز.

فضحكت الموظفة:

ـ لا بد أن السيد كالدويل يعرف تماماً كيف يستفيد من وقته. الحجز مؤكد لك آنسة انغرام، وشكراً لسفرك معنا.

برايان كالدويل... إنك مذهل!

●●●

٣ ـ يقطف لها النجوم

صباح الثلاثاء، كان ايربي ايسترسون، وزملاؤها المجازين، عند وعدهم إذ نقلوا مقتنياتها القليلة إلى شقتها الجديدة، واصفين لها طريقة تنسيق الشقة بالتفصيل. وقالت وهي سعيدة بالفسحة التي نالتها من هذه الشقة الواسعة:

ـ إنها شقة كبيرة، ولا أستطيع التصديق أن إيجارها لا يزيد إلا خمسة دولارات عن القديمة.

قال لها تشارل:

ـ إنها أجمل من الأخرى.

بعد ذهاب الجميع بقيت لورا برفقتها تحتسي الشاي المثلج معها وذلك قبل أن تعود إلى شقتها القديمة لانتظار مكالمة برايان.

ـ هل يمكنك مساعدتي في توضيب ثيابي يا لورا؟ سآخذ معي حقيبة لثيابي الداخلية وثوب السباحة وبعض الأحذية، وأخرى أكبر منها للملابس التي ستكون في معظمها من الجينز والقمصان. وعندما يتصل برايان سأسأله عن نوعية الثياب.

تملك لورا الفضول:

ـ من هو برايان كالدويل هذا؟

فضحكت كارين:

ـ أتمنى لو أعرف، منذ اليوم الذي كاد يصدمني فيه وهو يظهر في حياتي كالنسيم العليل أو كالعملة النادرة الجديدة.

ـ قد يكون عملة «سيئة»؟

ـ لا.. فأنا لم أر فيه أي سوء. فلو أخذني إلى مزرعته في براري نيو مكسيكو وحاول مراودتي عن نفسي، فسأغيّر رأيي بصدده ولن أعتبره أبدا عملة نادرة.

ـ وماذا لو فعل؟

ـ فعل ماذا؟

ـ ماذا لو راودك وأنت وحيدة هناك دون حماية أو معين.

قالت لها كارين بصوت جاف:

ـ إنه ينظر إليّ كعاجزة، كمخلوق صغير يحتاج إلى رعاية... لقد ذكر مرة أن والدته تعيش في «ثاوس» التي لا تبعد كثيراً عن «سانتا فاي» وأنا على ما أعتقد ستكون هناك لمرافقتي.

وضحكت لورا وهي تأخذ الأكواب لتغسلها:

ـ متى سيتصل؟

ـ قد يحدث ذلك في أية لحظة على ما أعتقد لذا من الأفضل أن نعود إلى الشقة القديمة لأبقى قرب الهاتف... سأكون سعيدة عندما أنتهي من الانتقال حتى أستطيع أن أجد الأشياء في أماكنها المحددة.

ما كادتا تصلان إلى الشقة القديمة حتى رن جرس الهاتف، فقالت لورا قبل أن تلتقط السماعة لترد:

ـ سأعود بعد قليل لمرافقتك إلى الشقة الجديدة.

ـ شكراً.

وضعت السماعة على أذنها.

ـ كارين هنا.

وقال برايان:

ـ كارين... آسف على اتصالي المتأخر. لكن عاصفة قوية داهمتنا الليلة الماضية وقد اقتضانا ذلك تعقب بعض رؤوس الماشية.

ـ كيف حالك؟

ـ تعبة، لكنني انتقلت إلى الشقة الجديدة.

ـ ألديك هاتف فيها؟

ـ لا... رافقتني لورا إلى شقتي القديمة لانتظار مخابرتك وهاتفي لن ينقل إلى مسكني الجديد قبل الخميس... لقد حصلت على إجازتي وكم كانت دهشتي عظيمة عندما علمت أنك قد حجزت لي.

ـ خفت ألا تجدي أمكنة للحجز. لذا أتمنى ألا تظني أنني أدفعك إلى زيارتي دفعاً.

ـ لا.. بالطبع لا... فأنا مسرورة، ولكن...

ـ جيد... أنا على أحر من الجمر للقائك يوم السبت يا كارين.

ـ انتظر برايان، ماذا عن الملابس؟ أعني أي نوع منها أحضر معي؟

ـ نحن لا نرتدي ثياباً رسمية معظم الوقت هنا، ولكننا نرتدي ثياباً رسمية عند العشاء، لذا احضري ثوباً أو ثوبين للسهرة. وإياك أن تكثري من الملابس فما ستحضرينه سيكون كافياً اتفقنا؟

ـ أجل. عمت مساء يا برايان.

عند العاشرة من صباح السبت نقلها ايربي ايسترسون بسيارته إلى المطار، وما إن نزلا من السيارة حتى سمعته يقول لشخص قريب منهما:

ـ هذه كارين انغرام إنها بحاجة لمساعدة للصعود والنزول من الطائرة.

وأجابه صوت بأدب:

ـ أجل يا سيدي... تفضلي معي آنسة انغرام.

لمس ايربي ذراعها.

ـ تمتعي بوقتك يا كارين... ولا تنسي القصة.

ـ وداعاً سيد ايسترسون، وشكراً لك.

تركت كارين لمرافقتها المجهولة قيادة خطواتها، وكانت أول راكب يصعد الطائرة واستقبلتها فيها إحدى المضيفات:

ـ أول مقصورة هي لك آنسة انغرام، أما الثانية فلألسي.. هل تحبين الحصول على وسادة؟

ـ لا... شكراً لك.

أبقت يدها على ألسي متسائلة عن ردة فعلها اثناء الطيران. بعد إقلاع الطائرة ومضيّها في الجو تنفست كارين الصعداء فألسي بدت وكأنها معتادة على السفر.

قبل أن تحط الطائرة بقليل تناهى إلى الأسماع صوت المضيفة عبر المذياع: «الكابتن يطلب منكم البقاء في أماكنكم، إلى أن يخرج ركاب معينون من الطائرة بسلام... لن يستغرق هذا أكثر من دقيقة».

أحست كارين بأنف «ألسي» فمسحت وجهها ثم لفت الرسن على خصرها، ووقفت لتسير دون أن يرشدها أحد نازلة السلم وأمامها ألسي تقودها. أحست وكأن الطائرة تحبس أنفاسها انتظاراً لوصولها إلى الأرض سالمة، وعندما وصلت إلى أسفل السلم انحنت لتحضن ألسي شاكرة.

وكان برايان ينتظرها، فقال:

ـ مرحبا كارين.

وامتدت يده الكبيرة لتمسك بيدها وسارا نحو المطار منتظرين وصول حقائبها.

أخذ برايان يتحدث إليها في طريقهما إلى المزرعة واصفاً بطريقة مرتجلة الجبال والسهول الملتفة حولهما مركزاً على سحر النهر المنساب عبر الأراضي الريفية وأبطأت السيارة من سرعتها، ثم انحرفت بحدة نحو اليمين وبعد بضع دقائق توقفت.

ـ لقد وصلنا يا كارين.

فتح الباب الخلفي أولاً لتخرج ألسي ثم سمعته يفك رسنها ويقول:

ـ هيا اركضي يا ألسي... سأهتم بكارين عنك. يمكن لبولدن أن يرشدك في هذا المكان.

فسألته كارين:

ـ بولدن؟

فضحك برايان:

ـ إنه صديقي. . . قد يكون ألسي من الفصيلة ذاتها.

وأمسك بذراعها قائلاً:

ـ ثلاث درجات توصلنا إلى شرفة واسعة. منزلي مؤلف من طابق واحد وهذا يعني أن لا سلالم قد تعيقك.

وسمعت وقع خطوات قادمة نحوهما:

ـ سالي هذه كارين انغرام، إن ضاعت فما عليك إلا إرشادها إلي لتصبح بخير.

جاءها صوت ناعم فيه لكنة خفيفة:

ـ كارين. . . أهلاً بك في منزل كالدويل «مرتفعات كالدويل».

ـ شكراً لك سالي.

ـ لقد وضع هيربي حقائبها في آخر غرفة من الجانب الغربي يا برايان.

ـ جيد. . . هل تناولت الغداء في الطائرة؟

ـ أجل. . . ولست جائعة. هل ستأخذني في جولة؟

ـ بالطبع. . . ارتدي الجينز وسنمتطي الخيل. أتجيدين امتطاءه؟

ـ لم أمتط حصاناً منذ سنة.

أخذ برايان يقودها إلى غرفتها واصفاً لها ما يحيط بهما بمنتهى الدّقة.

ـ يبدو منظر الغروب من هذه الشرفة رائعاً ليتك مبصرة لتريه!

ـ ليتني!! ما هي مرتفعات كالدويل؟

فضحك برايان:

ـ اتخذت أمي هذه التسمية للمنزل تيمناً باسم القصة المفضلة عندها «مرتفعات ويذرنغ». والآن يا كارين ماذا تريدين من حقيبتك؟

ـ أعطني القميص الأزرق ذا الأكمام الطويلة والجينز من الحقيبة الكبيرة والحذاء العالي من الحقيبة الصغيرة.

ـ هل أساعدك في اختيار الألوان المناسبة؟

ـ لن أجد صعوبة مع الجينز. . . أستطيع الاعتناء بنفسي. شكراً لك.

ـ سآخذك بعد عشرين دقيقة وفي هذا الوقت سأتفقد ألسي وأسرج بعدها بونتي الفرس اللطيفة التي ستمتطينها.

واستمعت لوقع خطواته المبتعدة ثم غيرت ثيابها بسرعة، ومشطت شعرها إلى الوراء ولما وصل بعد فترة كانت على أتم الاستعداد.

أثناء انطلاقهما إلى الفضاء الطلق، سمعت وقع أقدام ألسي الأربعة هي تتقدم نحوهما فربتت على رأسها قائلة:

ـ يمكنك أن تسيري معنا، فقط فأنا لا أحتاجك الآن.

وكأنما فهمت ألسي قولها وعندما امتطت ظهر «بونتي» سمعت الكلبة تمشي إلى جانبها. . .

بعد فترة من المسير قال لها برايان:

ـ بما أنك لم تمتط الخيل منذ مدة فالأفضل عدم الابتعاد.

بعد ساعة ترجلا عن الجياد فراح يقودها بتأن:

ـ هناك جذع شجرة. . . اجلسي عليه.

جلس بقربها، ولف ذراعه حول خصرها بطريقة عفوية:

ـ تقع جبال «جيميز» إلى الخلف خلف «لوس الأموس»، نحن على ارتفاع يقارب السبعة آلاف قدم، والمزرعة تحدها المحميات البرية الوطنية من الشمال والغرب. والمنظر رائع من هنا، رغم خشيتي أن أبدو وكأنني دليل سياحي.

ـ أذكر أن هذا المكان أبرد من «سالت ليك».

ـ أجل. . . الجو رائع هنا في مثل هذا الوقت من السنة. الطقس لا يصبح حاراً أبداً لكنه يبرد كثيراً خلال الشتاء.

اتكأت عليه ثم أدارت وجهها نحوه:

ـ هل تعيش وحيداً؟

ـ أجل. . . لماذا؟

ـ يبدو المنزل ضخماً لإنسان يعيش وحده.

ـ لقد كنت متزوجاً يا كارين لكنني أعيش الآن وحدي. أجل... المنزل كبير لفرد وحيد.

ـ أوه... أنا آسفة لم أكن...

ـ لا عليك. المسألة طبيعية لا تتعدى الطلاق المعتاد.

توقفا عن الكلام إلى أن قفلا عائدين إلى المنزل.

عندما أدخل الجياد إلى الاسطبل قال:

ـ لدى والدتي التي تعيش في «ثاوس» تذاكر لأوبرا تعرض الليلة. فلو شئت الذهاب نقصدها. إن أوبرا سانتا فاي الصيفية مشهورة بروعتها.

ـ سمعت عنها يا برايان، ولكن هذه التذاكر لن تجديني نفعاً. فلست ممن يعرفون الكثير عن الأوبرا.

ـ هل تودين الذهاب؟

ـ نعم لِمَ لا... أريدك أن تلقي نظرة على الثوبين اللذين أحضرتهما لترى بينهما ما يناسب.

توجها معاً يداً بيد إلى داخل المنزل ثم توجّه برايان إلى غرفتها ليلقي نظرة على ثوبيها بينما جلست هي على حافة السرير.

ـ كلاهما جيد لكنني أفضل الأخضر.

ـ حسن جداً... متى نغادر؟

ـ نغادر... عند الثامنة لأن البرنامج يبدأ عند التاسعة.

جلس قربها فوق السرير فأحاطها بذراعه ليريحها فوق الوسائد.

ـ هل أنت تعبة؟

ـ لا.

ـ استريحي على كل الأحوال، سنتناول وجبة خفيفة قبل الأوبرا على أن تكون الوجبة الأساسية بعد انتهائها.

مدت يديها إلى وجهه وأخذت أصابعها تمر فوق قسماته كالعادة ثم حطت أناملها أخيراً على فمه فأحست بأنفاسه تخرج حارة فوق أصابعها.

عندها ابتسمت له ابتسامة فرحة.

ـ كارين (خرج صوته أجشاً ولم تلبث يداه أن أمسكتا بكتفيها ثم قربها منه ليحتضنها بكل ما يملك من قدرة).

راحت يده تمر على ظهرها برقة بينما أنفاسه تزداد تهدُّجاً وضغطه يزداد قوة حتى خرجت من بين شفتيها آهة خفيفة.

ـ برايان...

ـ هذا يكفي...

تناول يديها المحيطتان بعنقه ثم قبّل كل يد على حدة ليضعهما بعد ذلك على صدرها وليهب واقفاً.

ـ ألسي معك هنا. نامي قليلاً. سأراك فيما بعد.

وخرج...

أخذت الأفكار تتلاعب بها وهي ترى أنها ستوقع نفسه في مشكلة كبيرة إن وقعت في حبه. ظلت هذه الأفكار تراودها إلى ان استسلمت أخيراً إلى النوم.

سألها برايان وهو يقودها إلى سيارته:

ـ ألم تذهبي من قبل إلى الأوبرا الصيفية هنا يا كارين؟

ـ لا... في العام الذي زرنا فيه هذه المنطقة كان موسم الصيف قد انتهى. الأوبرا تجري في الهواء الطلق، كما أخبرني أحد الأصدقاء.

ـ أجل... المسرح والمقاعد في منطقة مكشوفة... والمكان لطيف جداً حتى في الطقس الحار.

عندما وصلا بعد ذلك قال:

ـ موقف السيارات مكتظ.

فتح لها الباب ثم قادها فوق بضع درجات بعيداً عن السيارة وما إن دخلا باب المسرح المفتوح حتى شدت بأصابعها على ذراعه قائلة:

ـ لا بد أن علية القوم موجودون هنا.

www.elromancia.com

ـ لماذا؟

ـ رائحة مصانع العطور من فرنسا وإيطاليا وانكلترا تتمازج هنا.

ـ رائحة عطرك رائعة أيضاً... أتعلمين هذا؟

فهزت رأسها:

ـ لست أدري كيف عرفت هذا ونحن في هذا المكان.

ـ لقد كنت معك في السيارة... أتذكرين؟

ـ آسفة... لم أكن أعلم أنني وضعت كثيراً من العطر.

فضغط على يدها.

ـ وضعت ما يكفي لأُصاب بالدوار ولأزداد رغبة في الاقتراب منك أكثر فأكثر.

وقبل أن تجيب سمعته يقول:

ـ مرحباً يا أمي... هذه كارين انغرام.

سمعت صوتاً قوياً:

ـ تسرني رؤيتك يا كارين ويسعدني أن برايان أقنعك باستخدام تذاكر الأوبرا.

أحست كارين أن أصابعاً قوية طويلة تتناسب مع الصوت القوي قد أمسكت بيدها، فقالت:

ـ مرحباً سيدة كالدويل.

سأل برايان:

ـ هل أنت مع لينا يا أمي؟

ـ أجل... إنها في مكان ما هنا.

ـ هل تنضمان إلينا لتناول العشاء بعد الأوبرا؟

ـ نعم... شكراً لك يا برايان. أما الآن فالأفضل أن أجد لينا أراكما لاحقاً.

لمست المرأة المسنة يد كارين ثم ابتعدت فسألت برايان:

ـ هل هي جميلة؟

ـ في الواقع هي جذابة جداً.

ـ إذاً لا بد أنك ورثت عنها الوسامة.

بعد أن جلسا في أماكنهما. رفعت كارين رأسها لتنصت مصغية فأحست أن الأضواء قد اطفئت وأن الأصوات قد انخفضت.

مال نحوها برايان قائلاً:

ـ إذا استطعت متابعة الموسيقى... فسأصف لك بعض الحركات التي يقوم بها الراقصون.

ـ سأستمع إلى الموسيقى فقط. لقد قرأت قصة هذه الأوبرا منذ وقت قصير ولم أنسها بعد. شكراً.

ـ متى قرأتها؟

أجابت مبتسمة:

ـ كانت أحد الكتب التي كنت أحملها يوم التقينا. ومن غير المحتمل أن أنساها لفترة طويلة.

واستغرقت في الإصغاء إلى الأوبرا. أما برايان فقد راح يشاهد المسرحية أمامه ويداه لا تتركان يديها حتى عندما ارتفع التصفيق بقي محتفظاً بيديها بين يديه. بعد أن أُسدلت الستارة جذبها برايان لتقف ثم سمعت صوت السيدة كالدويل وهي تقول:

ـ ها أنتما... لينا هذه كارين انغرام.

قال برايان بعد انتهاء التعارف.

ـ سنذهب كل بسيارته يا أمي، وسنلتقي في المطعم. وهكذا تستطيعين أنت ولينا الذهاب مباشرة إلى المنزل.

على مائدة العشاء، أخذت كارين تصغي للحديث القائم حولها فلاحظت أن برايان وأمّه صديقين في آن معاً.

ـ تملك والدتي ولينا محلاً للأزياء النسائية في تاوس. فهما تعملان بكد، كما قيل لي إلا في شهري آذار ونيسان حيث تذهبان في رحلة لشراء الأزياء من نيويورك وباريس.

ضحكت والدته:

ـ نحن نستحق هذه الرحلات يا كارين. كما أننا نتمتع بها أيضاً. لماذا لا تجلب كارين للعشاء عندنا يوم الجمعة يا برايان، سنعدُّ لكما «الكركند».

ـ هل ترغبين في هذا يا كارين؟

ـ أجل... سأحبه.

تمت رحلة العودة إلى المزرعة بصمت مطبق، قطعه برايان بقوله:

ـ ليتك ترين القمر الساطع المُلقي ظلاله الفضية على الجبال العالية، التي تكاد تلامس النجوم بل أننا نكاد نلمسها بأيدينا.

أجابت بصوت ملؤه النعاس.

ـ أعطني حفنة منها.

مدت يدها لتضعها فوق ذراعه ولم تتركها حتى وصلا ثم راح يساعدها على الخروج من السيارة، ثم جذبتها ذراعاه القويتان لتلصقها به، وقفا هكذا يمسكان ببعضهما بعضاً بصمت لا تقطعه سوى أنفاسهما. أخيراً فتح الباب الجانبي للمنزل وقادها إلى الداخل. فطالعتهما ألسي التي أسرعت إلى سيدتها معلنة أنها موجودة.

أحست به قربها، فرفعت رأسها تهم بالكلام ولكنه سبقها قائلاً:

ـ أعتقد أنك بحاجة لشراب بارد. خداك متوردان... هل أنت بخير؟

ـ أجل... لقد انحنيت كثيراً لأداعب ألسي.

ـ ألست تعبة... لقد كان يومك شاقاً.

ـ إنه تعب ممتع مريح قد تزيله ساعات قليلة من النوم. فإن نمت هنا مددني على الأريكة وسأراك في الصباح.

أحست بيديه تنزلقان إلى ركبتيها:

ـ ماذا تفعل؟

لم يجبها بل حملها وأسرع خطاه متجهاً إلى غرفة نومها لكنه أبقاها

بين ذراعيه فترة قبل أن يضعها فوق السرير وسألها بصوت هادىء:

ـ هل تحتاجينني لأجد لك ثياب النوم؟

أجابت:

ـ هل أنت غاضب مني؟

ـ لا... ولكن إذا استمرينا هكذا معاً، فمن المؤكد أنك أنت من سيغضب مني. أين ثياب النوم؟

ـ في الحقيبة الصغيرة.

ـ الثوب الأحمر؟

ـ أجل.

ـ إنه لون يلائمك إلى حد كبير.

أحست به يجلس قربها لكنها أجفلت عندما غطى عينيها بيديه، ثم أبعدهما بسرعة، فرفرفت رموشها.

ـ هل ترين ولو بصيصاً من نور؟

ـ أحياناً أرى بعض الظلال لكنني لست واثقة إذا كانت أشباحاً مصدرها الخارج أم الدّاخل.

ـ متى ستقابلين طبيبك؟

ـ في أواخر آب.

ـ لم هذا التأخير؟

ـ لقد أجريت فحوصات في حزيران ولا يمكن عمل شيء قبل ظهور النتائج.

ـ لا أثق بأنهم يقومون بما يتوجب عليهم فعلاً ولا أعتقد أن النتائج تحتاج إلى شهرين من الانتظار لمعرفة ما إذا كان بإمكانك الرؤية من جديد. سألتُ عن أحد أخصائيّ العيون الشهيرين في مستشفى هوبكنز في بالتيمور.

ـ لقد كبدني علاجي ما لا طاقة لي به من الأموال. ولا أظنني قادرة على تحمل تكاليف مستشفى هوبكنز خاصة أن التأمين قد انتهت مدته.

وهذا يعني أنني عاجزة عن دفع المزيد في سبيل الفحوصات.

ـ ألا تغطي الجريدة مصاريف العلاج لك؟

ـ بلى... تغطيه بشكل جيد. ولكن هناك شرط يقول إن أي مرض أو إصابة يصاب به المريض قبل عقد التأمين لا تغطيه الشركة. ولا يمكن لومهم على ذلك إنها ليست غلطة الجريدة.

ـ لا... ولكن، لا بد أن هناك طريقة ما للحصول على مساعدة لك.

ـ لم يبق سوى شهرين يا برايان وبعدها سنرى.

تنفس عميقاً، وقد بدأ يظهر الغضب:

ـ بعد آب، ماذا؟ لو قالوا إنهم غير متأكدين فماذا بعد؟

ـ لست أدري يا برايان. سيكون علي أن أنتظر. ليس أمامي خيار آخر.

أمسك يدها التي ما زالت على ذراعه فأحسّت بشفتيه على راحتها وبيده تطبق أصابعها على موضع القبلة وبحدة يقف مبتعداً.

ـ نامي جيداً يا كارين. ولا داعي للعجلة في الاستيقاظ غداً. سأخرج عند الصباح فترة قصيرة، وإذا استطعت انتظاري للفطور. فسأكون هنا عند العاشرة. تصبحين على خير.

استلقت جامدة في فراشها الواسع محاولة البحث عن طريقة لا تسبب فيها بأيّ أذى لبرايان فماذا لو ألحّ عليها لرؤية هذا الأخصائي؟ وماذا ستفعل حينها؟

ولم تلبث أن انتقلت أفكارها إلى تلك المرأة التي تركت رجلاً كبرايان يُعدّ من ألطف خلق الله. نعم هو ذو طبع حاد وهي ما زالت تذكر غضبه يوم كاد يصدمها كما أنه رجل يصعُب استرضاؤه خاصة إذا ما ظنّ أنه قد خدع عمداً. لكنه رغم ذلك من أفضل الرجال بل هو أفضلهم.

●●●

٤ ـ حب أم شفقة

استغرقت في نومها دون أحلام، إلى أن أرسلت شمس الصباح أشعتها عبر النافذة. فتحت عينيها لتجد ألسي بانتظارها تستقبلها بقبلة وضعتها على خدها.

استحمت كارين ثم ارتدت الجينز وقميصاً وتبعت ألسي نحو المطبخ حيث قابلتهما سالي:

ـ صباح الخير... برايان قال إنه سيعود عند العاشرة هل ستنتظرينه لتتناولي الفطور معه؟

ـ أجل سالي.

مدت يدها إلى كرسي توقفت ألسي عنده فاصطدمت يدها بجسد صغير مكسو بالفرو أخذ يتلوى بسعادة، فصاحت سالي:

ـ بوتش توقفي... هذه كلبة السيدة كالدويل الصغيرة يا كارين تتركها هنا لأنها تخرج من المنزل كثيراً. وابنتي ميرا تعتني بها.

فضحكت كارين، ومدت يدها تداعب ألسي ثم احتضنت الكلبة الصغيرة وقالت:

ـ ما رأيك بها يا ألسي؟

تقدمت ألسي لتتفحص الكلبة الصغيرة بأنفها، فاستجابت لها بوتش بسعادة. وأخذت كارين تضحك، ثم سمعت صوت برايان:

ـ يبدو أن الجميع مستيقظ باكراً اليوم، والفضل يعود «لبوتش».

ـ إنها طريفة... هل هي الكلبة الصغيرة الوحيدة التي تملكها هنا؟

ـ أجل... بولدن من النوع الألماني كما عرفت. وهناك كلبان

بلجيكيان لرعي الغنم يبقيان بعيداً في المزرعة، لكنك ستجدين أنواعاً مختلفة حول المزرعة يملكها بعض الجيران.

لمس كتفها وهو يتقدم ليجلس على المقعد خلفها.

بعد الفطور قادها إلى الخارج ليجلسا في شرفة مسقوفة تواجه على ما تعتقد سلسلة من الجبال. ولما سألته عن ذلك أجابها:

ـ نعم، ثمة سلسلة جبلية.

توقف قليلاً عن الكلام ثم أردف:

ـ ما رأيك بالسباحة اليوم وبعدها نفكر بما سنفعله غداً.

ـ يبدو هذا رائعاً... لكن هلى ستبقى متسكعاً مدة طويلة. ألا يفترض أن مزرعة كهذه تحتاج إلى الكثير من العمل؟

ـ كم مساحتها بحسب رأيك؟

فكرت للحظات:

ـ إذا كنا قد سرنا في السيارة حوالي عشرين دقيقة من سانتا فاي في أملاكك إضافة إلى أننا امتطينا الخيل في أملاكك وسرنا فيها أميالاً عديدة من الجهة المقابلة لطريق سانتا فاي. فهذا يعني أن المساحة كبيرة جداً.

فضحك:

ـ أكنت كمبيوتر في الحياة الأخرى؟ إنَّ لك القدرة على الحساب العقلي وبإمكانك تذكر اتجاهات لم تريها يوماً أفضل مما أتذكرها أنا الذي أراها باستمرار.

ـ ما عليك سوى الانتباه وستحُلّ معضلتك.

سألها وهو يقودها عبر الردهة الباردة:

ـ ما رأيك بشرب شيء؟ لذيذ وبارد؟

ـ طبعاً. إنما بعد نصف ساعة.

ـ حسن جداً.

توجهت إلى غرفتها وألسي دليلها، فاغتسلت ثم أخذت الفستان الأصفر من التعليقة حيث وضعته سالي وارتدته بعد أن جففت شعرها

جيداً ومشطته ثم رشت بعض العطر عليه وعلى كتفيها، ثم أخذت تتحسس في الحقيبة الصغيرة بحثاً عن الصندل الذهبي الملائم للثوب ولما لم تجده صاحت:

ـ اللعنة...

فجاءها صوت برايان قريباً من الباب:

ـ ما بك؟

ـ لم أجد الصندل.

ـ لعله يكون هذا الذي أنقذته من فم الكلبة الحمراء الصغيرة لك.

ـ بوتش، كيف أخذته؟

ـ إنها أسرع لص في المزرعة.

جلسا في الخارج يتمتعان ببرودة بعد الظهر ويحتسيان شراباً وقالت له فجأة:

ـ برايان.

ـ نعم يا كارين.

ـ هل تحب أن تذهب في سيارتك يوماً إلى الباكويرك لتقابل شقيقتي برندا وزوجها أريك؟

لاحظت أنه تردد قبل أن يجيب:

ـ طبعاً... هل هي تشبهك؟

ـ لنا الحجم نفسه لكنها ذات شعر أسود وعينين زرقاوين.

ـ أنت تمزحين.

ـ أبي وأمي كانا نقيضين. فأبي كان ذا شعر أحمر.

ـ لكن شعرك ليس أحمر ولا أدري إن كان يطلق عليه لون الأشقر الخمري.

فضحكت كارين:

ـ سالي تقول إنه بلون شعر «بوتش» ذات اللون المشمشي.

ـ تقريباً لا عجب أن أحبتك «بوتش» فلعلها تظنك أمها. هل تحبين

الذهاب غداً عند شقيقتك؟ هل سيكونان في المنزل؟

ـ نعم للسؤالين. لدى زوج أختي مزرعة صغيرة لكنهما يعملان وبرندا ممرضة وأريك ميكانيكي طيران.

ـ ومتى يجدان الوقت للعناية والعمل بالمزرعة.

ـ إنها مزرعة صغيرة ليست كمزرعتك.

ـ اتصلي ببرندا وأعلميها بقدومنا. ربما نذهب للعشاء في الخارج لذا ليس عليها أن تعدّ طعاماً.

ـ أجل... سأتصل بها.

ـ منذ متى لم تشاهديهما؟

ـ منذ الميلاد الماضي.

ـ لم تريها منذ الميلاد؟ أعتقد أنكما لا تلتقيان كثيراً.

ـ كنا نلتقي كثيراً لكن أوضاعي الصعبة وعيشي في سولت ليك أعاقني عن رؤيتها.

وجد أنها قلقة فصمت ثم تنفس عميقاً قبل أن يقول:

ـ ربما الأفضل أن تأخذي قسطاً من الراحة قبل العشاء يا كارين.

أمسك يدها محتفظاً بها وهما يسيران إلى داخل المنزل إلى أن توقف أمام باب غرفتها فطبع على جبينها قبلة حارة.

ـ الكلاب تلعب في الخارج لذا أنت وحدك في الغرفة... العشاء في السابعة.

بعد أن ذهب مدّت يدها لتفتح الباب فدخلت ثم استدارت يميناً إلى السرير الذي جلست عليه وهي تفكر ببرايان كالدويل. بعد دقائق تنهدت وخلعت حذاءها ثم استلقت فوق الفراش دون أن تشعر بشيء إلى أن أتاها صوت برايان هامساً:

ـ هل ستنامين طوال أيام إجازتك؟

جلس قربها ثم جذبها لتجلس، فقالت:

ـ ما أردت أن أنام هذا الوقت كله.

ـ أحسنت صنيعاً على كل حال. هيا بنا حان وقت العشاء.

بدا الانزعاج عليها، فقال بصوت رقيق:

ـ لا بأس... سأنتظرك حتى تجهزي.

دخلت الحمام فغسلت وجهها ومشطت شعرها ثم عادت إلى الغرفة لتبحث عن صندلها فوجدت أن برايان قد جهزه لها. انحنى ووضعه في قدميها ثم شدَّ الرباط جيداً.

بعد العشاء اللذيذ الذي قدمته لهما سالي جلسا في غرفة الجلوس يصغيان إلى الموسيقى المنبعثة بهدوء، أحاطها بذراعيه مراقصاً. راحا يتمايلان على الأنغام الشجية وقد وضع بينهما مسافة قصيرة لكنها كانت تشعر بشفتيه على شعرها. عندما انتهت الموسيقى ابتعد عنها ليتأملها قليلاً.

ـ اتصلي بأختك قبل أن يداهمنا الوقت.

ـ حسناً.

ـ أعطني الرقم لأطلبه لك.

كررت له الرقم فطلبه ولما رنَّ الهاتف في الطرف الآخر أعطاها السماعة فسمعت صوت أريك.

ـ مرحباً أريك أنا كارين.

ـ كارين كيف حالك، ثمة خطب ما؟

ـ لا تخف يا أريك. أنا في سانتا فاي أريد أن أزوركما برفقة صديق يدعى برايان كالدويل.

بعد لحظة سمعت صوت شقيقتها:

ـ كارين... هل أنت بخير؟

ـ طبعاً... أنا على بعد خمس وسبعين ميلاً عنكما، أتشوق لزيارتكما.

ـ متى... متى؟

بدا أن برندا كانت تقفز فرحاً:

- في الغد، إذا كنتما في المنزل. إلى أي وقت تبقين في العمل؟
- من السابعة إلى الثالثة، كوني هنا عندما أصل إلى المنزل يا كارين.
- جيد جداً يا برندا... أراك فيما بعد.
أخذ برايان السماعة من يدها بينما كانت جالسة تفكر وقال:
- حسناً؟
- سيكونان سعيدين لرؤيتنا. لقد بدا عليهما السعادة.
- لِمَ لن يكونا سعيدين؟
- كان لديهما ولد عمره أربع سنوات مات منذ ثمانية عشر شهراً.
جمد برايان لحظات، ثم أمسك يدها منتظراً مضيها في الحديث وعندما لم تفعل قال:
- ماذا حدث له؟
ارتجفت قليلاً غير قادرة على سرد ما جرى.
- السحايا.
جلست جامدة، تتذكر الأوقات الرهيبة التي مروا بها وتنهدت ثم تابعت:
- إنهم بخير الآن، لكنهما أمضيا أوقاتاً عصيبة مدة لا بأس بها.
- يا إلهي لا بد أنهما عانيا كثيراً. متى سنذهب غداً؟
- تصل براندا إلى المنزل عند الثالثة والنصف وأريك عند الخامسة. هل نستطيع أخذ ألسي معنا؟ سيحبانها. وهناك مكان نتركها فيه لو أردنا الخروج.
- بالطبع.
بقيت أفكارها تدور حول برندا وأريك. ففكرت أنها ستعرف قريباً كيف يبدو برايان عندما ستصفه لها برانداً. جعلت هذه الفكرة جسدها يرتعش.
امتلأ قلبها سعادة عندما أيقظتها «ألسي» في الصباح التالي. فأسرعت

إلى تجهيز الثياب التي سترتديها أثناء زيارة شقيقتها وإلى إخراج زجاجة العطر من حقيبتها. بعد ذلك عادت إلى الاضطجاع في السرير لتقطر في عينيها من دوائها وبقيت في السرير إلى أن قرع برايان الباب.
- ادخل.
- ما بك؟
- لا شيء، أستخدم هذه القطرة عادة عندما أحس بألم في عيني.
صدر عنه صوت لم تفهمه فجلست في السرير وقالت:
- ماذا جرى؟
- كيف تعرفين أنها الزجاجة المناسبة يا كارين؟
- لدي واحدة فقط، وعليها كتابة برايل.
تمتم بشيء آخر، ثم سمعت صوت تنهده:
- هل أنت جاهزة لتناول الفطور.
- أجل...
اثناء الطريق عمهما الصمت بينما الموسيقى تنبعث من الراديو بأغنية ورد فيها: «أعذب شيء أصابني هو حبك» ففكرت «أعذب شعور أحسست به هو حب رجل ما كنت أعرفه وما رأيت وجهه قط».
وسألها فجأة:
- هل رقم طريق المزرعة ١٦٠٦؟
- أجل... استدر إلى اليسار.
- هل اسمها مزرعة «بار».
- نعم. لقد فكر أريك وبرندا بهذا الاسم يوم كانت حاملاً.
عندما توقفت بهما السيارة أمام المنزل في الممر الخاص المستدير. كانت قد أمسكت بيدها مفاتيح الباب. فسألها برايان وهو يفتح الباب لها بعد أن أخرج «ألسي» من السيارة:
- هل أنت واثقة أنه المفتاح المناسب؟
- أجل يا برايان...

قرّبت المفتاح منه ليتسنى له قراءة الأحرف المحفورة على حاملة المفاتيح «بار». صمت ثم راحا يسيران تتقدمهما ألسي التي رأت أن صاحبتها ستحتاجها في هذا المكان الجديد لكن كارين كانت تعرف هذا البيت جيداً لذا راحت تمشي بثبات.

لما سمعا صوت سيارة تتوقف في الممر الخارجي قالت:

ـ هذه برندا... أنا أعرف صوت «الموستنغ» خاصتي في أي مكان.

حاول برايان أن يسأل شيئاً، ولكن زوبعة سوداء الشعر زرقاء العينين عصفت إلى الداخل لتحتضن كارين. وعندما تركتا بعضهما أخيراً استدارت المرأة قائلة:

ـ مرحباً لابد أنك السيد كالدويل.

ـ كيف حالك سيدتي؟

وسألت كارين:

ـ كيف عمل أريك؟

ـ الأمور تتحسن يا كارين... لقد دفعنا بعض... بعض... الرهن وهذا ما ساعد في رفع معنوياته.

استدارت نحو برايان:

ـ سيأتي أريك باكراً اليوم. فهل نذهب الآن لشرب الشاي المثلج.

أثناء ذهابهم إلى المطبخ راقبت براندا شقيقتها وهي تسير خلف ألسي:

ـ إنها جميلة... أما زلت تجهلين من بعثها إليك؟

ـ لا.. كل ذلك لا يهم المهم إنها معي أتمنى أن يكسب كل محتاج مثلي حيواناً كهذا. يا إلهي لا أدري كيف يمكنني العيش بدونها.

فقال برايان مازحاً:

ـ كدت تقتلين نفسك دونها.

فابتسمت له:

ـ نعم... لكن ما كنت قد التقيتك لولا ما حدث.

وصلت سيارة أخرى وإذ بأريك يدخل من الباب الخلفي وهو رجل ضخم الجثة مفتول العضلات سارع إلى كارين ليرفعها عن الأرض وليحضنها بقوة. بعد قليل أبعدها عنه ليتأملها.

ـ كيف حالك يا كارين؟

ـ بخير، وأنت يا أريك؟

كان صوتها الرقيق يظهر بوضوح حبها لصهرها. بعد أن تركها رأى «ألسي» الجالسة قربها وأكتافها مرتفعة استعداداً لرد أي اعتداء قد يصيب كارين، استدار أريك ليصافح برايان بعد أن قدمتهما كارين. ثم أعاد نظره إلى الكلبة:

ـ إذاً هذه هي ألسي؟ أنت على حق.. إنها جميلة. أعطوني دقائق فقط لأغير ملابسي.

فسألت كارين:

ـ هل ثيابي مناسبة؟

ـ مطعم اللحم المشوي ليس سوى مطعم صغير لذا لا إشكال بشأن ثوبك. لكن هل يناسبك هذا المطعم يا برايان؟

ـ لم أزر هذا المطعم منذ فترة، لكنني اذكر أنه رائع. أما زال على حاله؟

ـ نعم ما زال كما هو.

ذهب أريك إلى غرفته، أما كارين فلحقت بشقيقتها إلى غرفة النوم.

ـ كيف يبدو لك يا برندا؟

ـ أتعرفين ماذا أصابه؟

ـ لا... ماذا؟

ـ على أحد جانبي وجهه ندبة تبدأ قريباً من عينيه تشد جلده وتمتد إلى فمه حيث تشد شفته إلى الأعلى. هو أدكن أسمر، عيناه حادتان. أحد طرفي فمه مثير وذقنه مربع. ويبدو من جانب وجهه الآخر وسيماً جداً.

ـ أعلم هذا.

ـ تعلمين؟

ـ أنا ألمسه من وقت لآخر حين أستطيع.

ـ كارين هل أنت واثقة أن هذا أمر لا بأس به.

ـ لقد كاد الأمر ينتهي بعد أقل من شهرين يا برندا، وعليّ أن أنهي قصتي، لقد قدمها السيد ايسترسون للحصول على جائزة فإن ربحتها نستطيع دفع كل شيء بكم ندين الآن؟

ـ لقد غدت المشكلة مسؤوليتنا نحن أنا وأريك. فقد ساعدتنا كثيراً وقدّمت لنا الكثير في وقت كنا نظن فيه أننا لن ننجح أبداً.

ـ لم تعد المسألة بالنسبة لي قضية ديون. فما يهمني الآن أن تنجح قصتي لتساعد أطفالاً مصابين كروبين قبل فوات الأوان.

ـ كيف كانت هذه السنة بالنسبة لك؟

ـ لقد علمتني أكثر مما علمتني إياه كل السنين السابقة.

ـ وماذا عن برايان؟

ـ لا أعرف عنه إلا القليل فهو مطلق، ويملك مزرعة ضخمة ولديه والدة رائعة. وفوق ذلك إنه رائع ولطيف معي.

ـ هل تحبينه؟

ـ أجل... أعتقد هذا.

ـ وهو؟

ـ يشعر بالأسى عليّ.

ـ أنت تعرفين المثل القديم القائل «الشفقة هي بداية الحب».

ـ ليس بالنسبة لبرايان الذي يؤمن بأنني بحاجة إلى مساعدة كفتاة في السادسة من عمرها لا في السادسة والعشرين.

سمعنا دقاً على الباب وصوت أريك يقول:

ـ نكاد نموت جوعاً... هل أنتما جاهزتان؟

خلال العشاء، راحت كارين تصغي إلى الحديث الدائر حولها

فاستطاعت أن تلاحظ أن شقيقتها قد تغلبت بعض الشيء على أحزانها أو أنها تقبلتها قليلاً.

أحست بالدموع تكاد تنهمر من عينيها وهي تحتضن شقيقتها مودعة.

سألها أريك:

ـ هل سنراك في أيلول يا كارين؟

ـ اوه أجل... يمكن أن تتأخر زيارتي حتى أواسط أيلول ولكنني سأفعل المستحيل لأحضر.

ـ جيد... تعالي لزيارتنا سريعاً، وأنت أيضاً يا برايان يمكنك المجيء متى شئت.

عندما وصلا إلى المزرعة، كانت كارين تغط في نوم عميق، فكان أن سارع برايان بعد أن فتح باب الكراج وأخرج ألسي إلى مساعدة كارين النائمة فحملها إلى الداخل ولم يتوقف إلى أن وضعها في غرفتها حيث راحت بوتش تراقبه وهو يخلعها حذاءها.

قصف الرعد قوياً في الوادي البعيد. فوقف برايان أمام نافذة غرفته يتأمل لمعان البرق المنذر بهطول المطر التي الأرض بحاجة إليه حاجة ماسة مثل هذا الوقت.

ارتدى سروال بيجامته، ثم خرج نحو المطبخ ليعد لنفسه فنجان قهوة، في هذه الأثناء تصاعدت العاصفة فالرعد ما عاد يدوي بعيداً بل غدا قصفاً يصم الآذان والبرق يومض مُبهراً الأبصار حتى أصبح الليل نهار ولم يلبث أن انهمر المطر.

عاد إلى غرفة نومه، وبينما هو واقف يتأمل الجو من نافذته وإذا بالسماء تنشق نصفين إثر صاعقة بدت كأنها لهيب نار أو سوط غليظ هزت البيت هزاً محدثة عطلاً في خطوط الكهرباء فانطفأت الأضواء وغرق البيت في الظلام.

فكر أن هذه الصاعقة ربما أيقظت كارين من نومها فسارع حاملاً

القنديل من مكانه المعتاد قرب الدرج وقصد غرفتها. كان لمعان البرق يترك ظلاله في الغرفة حيث كانت كارين جالسة على حافة السرير وعيناها وجلتان مذعورتان تحمل «بوتش» المرتجفة بيد، ويدها الأخرى فوق رأس «ألسي».

أحست به قريباً منها فتركت بوتش وأدارت وجهها لتدفنه في صدره.

ـ برايان...

ـ لا بأس عليك الآن... سيصل شخص ما إلى مولد الكهرباء لإصلاحه.

لم ينتبه إلى أن الضوء لا يعني شيئاً لكارين، وأنّ قصف الرعد هو الذي يرعبها. ضمها إليه مطمئناً فأحسن أن غلالة نومها رقيقة إلى درجة أن أصابعه شعرت بملمس بشرتها دون أن تمسها في الواقع... شدت قبضة ذراعيه على جسدها المرتعش فضمها إليه محتضناً وهو يطبع على جبينها قبلة تطمئنها.

كانت العاصفة الغضوب تعصف بجنون خارج المنزل وقلبها يعصف بجنون أكبر بين ذراعيه وقد وضع رأسه على شعرها وأنفاسه الدافئة عليه تحرّك بعض الشعرات بينما رأسها يستريح على صدره الرّحب.

أحست بوضع جسدها شبه العاري بين ذراعيه فتحركت وارتدّ رأسها إلى الوراء هامسة:

ـ أرجوك...

لم يدر ما هي هذه الـ «أرجوك». فهذا القماش الرقيق كان له أثراً حميماً عليه أثار فيه مشاعر قوية أكثر مما ستحدثه بشرتها العارية وهاتان العينان المرعوبتين جعلها ملء أحضانه فاحتواها أكثر فأكثر بين ذراعيه وراح يعانقها بشغف وعطف وهو يهمس بكلمات تطمئنها بينما الرعد يكمل قصفه ضارباً الفضاء بقوة، ولم يعرفا متى توقفت العاصفة أو متى استسلما للنوم أو متى كان الهدوء.

٥ ـ صيادة فاشلة

لم تكن القبلات التي أيقظتها كتلك القبلات التي طمأنتها الليلة الماضية إذ كانت قبلات رطبة تضعها بوتش على وجهها. مدت ذراعها إلى الفراش قربها فوجدته خالياً مما جعلها تتساءل متى رحل برايان فهي ما عادت تذكر شيئاً عن البارحة إلا ذراعيه وهما تحتضانها وتحميانها إلى أن هدأت بين ذراعيه غارقة في نوم عميق فمدت يدها إلى ساعتها فعلمت أنها قد تجاوزت الثامنة.

عندما جلست في سريرها لم تسمع سوى صوت المطر المنهمر. طوحت قدميها فوق حافة السرير فأحست برأس «ألسي» تحت يدها. ووجدت روبها فارتدته وخرجت حافية القدمين إلى الردهة وهي تعد خطواتها باتجاه المطبخ.

ـ سالي؟

جاءها الرد الناعم:

ـ نعم يا كارين.

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ توقفت العاصفة بعد أن أحدثت أضراراً كثيرة. وقد خرج برايان مع الآخرين لتفقد الأضرار وإصلاحها. لقد خرج قبل الخامسة وأظنه سيعود قريباً لتناول طعام الفطور. الكهرباء عادت بدورها ولكن خطوط الهاتف مقطوعة. هيا بنا نأكل، وسأحضر الطعام لمن يأتي فيما بعد.

بعد الفطور ساعدت كارين في ترتيب الأسرة، ومع أنها كانت بطيئة في عملها إلا أن الأمر لم يكن صعباً وقد ساعدها ذلك في مرور الوقت

حتى عودة برايان. وأحست بالقلق لمّا وجدت أن المطر مستمر في الهطول وأن غياب برايان قد طال إلا أن سالي طمأنتها إلى أن غيابه طبيعي بعد أن سببت العاصفة كل تلك الأضرار.

تناولتا وجبة خفيفة بينما كان الظلام يوشك على القدوم. ذهبت كارين إلى غرفتها مع «آلسي» و«بوتش» فاستلقت فوق السرير وهي تفكر ببراندا وأريك: إنهما الآن أفضل حالاً مما كانا عليه منذ سنة عندما انهارت براندا بعد موت روبن. ولكنها بعد فترة، وبعد أن عرفت ما تقوم به كارين لأجلهما بدأت حالتها تتحسن وعادت إلى عملها وقد صدمتهما فواتير الطبابة التي خلّفها لهما موت ولدهما، فنذرت كارين نفسها لمساعدتهما في دفع الديون على الرغم من معارضتهما. وإذا نجحت في كسب الجائزة التي رشحها لها إيربي فسيستطيعون عندها دفع ما تبقى من الديون. إضافة إلى تمويل مؤسسة أبحاث تُعنى بالأطفال المرضى بالمرض الذي أصاب روبن.

سمعت باباً يصفق في مكان ما من المنزل، فجلست كارين تصغي لوقع خطوات عبر ردهة المدخل، ثم أغلق باب آخر. وقادتها آلسي إلى المطبخ، حيث أجابتها سالي على سؤالها:

ـ أجل يا كارين إنه هنا. لكنه مبلل ومغطى بالوحل، هلا هيّأتِ له مكاناً على الطاولة أرجوك. هل أنت جائعة؟

ـ لا.. معدتي ممتلئة بما تناولناه منذ قليل.

حضّرت له طبقاً وفنجاناً وفضية عند طرف الطاولة. وأخرجت الزبدة والحليب من البراد. فسيحتاج إلى قهوة سالي القوية كي تنشطه بعد الإرهاق الذي لا بدّ قد تملكه من العمل الذي امتد من الخامسة صباحاً إلى هذه الساعة التي تقارب السابعة مساءً.

واستدارت عندما سمعت وقع خطوات عند الباب وابتسمت:

ـ برايان؟

ـ مرحبا كارين. إنه طقس يُفسِد العطل؟

وأخذ يتحدث بهدوء عن السيول، وعن نقل الماشية إلى أمكنة مرتفعة، وجرّ الأشجار المخلوعة من جذورها عن الطرقات، واستبدال النوافذ في بعض منازل العمال في المزرعة. وأضاف:

ـ منزلنا هنا لم يعان كثيراً من الأضرار، فالأمر لم يتعدَّ تضرر بعض الألواح الخشبية. كيف أعصابك اليوم؟ بعد هذه الليلة المزعجة؟

ـ لا بأس، أظن أن «بوتش» تحتاج إلى مهدىء أعصاب، وكذلك آلسي التي لم تكن سعيدة بما حدث.

ـ أجل... لاحظت هذا.

وضعت سالي الطعام أمامه، ثم لمست يد كارين وهي تضع فنجان قهوة أمامها فقال برايان:

ـ ما رأيك ببعض الحلوى؟

ـ لا.. لقد تناولنا الطعام منذ وقت طويل.

ـ هل أنت متأكدة؟ الحلوى ما زالت طازجة ساخنة.

فابتسمت له دون أن تجيب، فأردف بعد أن تناول قليلاً من السمك:

ـ هل أخبرتك سالي أن هذا السمك اصطاده من النهر على حدود مزرعتنا ولداها يوم أمس.

ـ لا لم تخبرني. لقد أكلنا اللحم، فلماذا أنت السمك؟

ـ أنا رجل عامل... وسالي تعتني بي جيداً.

سمعت صوت كرسيه يتحرك:

ـ سنتناول بعض الشراب في غرفة الجلوس.

أمسك لها كرسيها ثم ساعدها ليذهبا إلى الغرفة حيث أجلسها فوق الأريكة. أخذت تصغي إلى صوت تحركاته وهو يصب الشراب ويضع أكواب الثلج فيها. تنهد وهو يضع الكأس البارد في يدها.

ـ من المؤكد أننا نستفيد من المطر، ولكنني أتمنى أن لا يشتد أكثر. تقول الأخبار إنّ الطقس غداً بارد وغائم إنما دون أمطار... سأعمل غداً

إلى ما بعد الظهر وكم أكره تركك وحدك.

ـ أستطيع تسلية نفسي لو أن عندك آلة طابعة وأوراقاً.

ـ أجل... لدي ما تطلبينه. بماذا تفكرين؟

ـ بإيربي... أعني السيد ايسترسون الذي أعطاني الإجازة بعد أن وعدته بكتابة مقالة أثناء وجودي هنا وأعتقد أن لدي الكثير لأكتبه.

ـ حسن جداً. سأحضر الآلة لك الليلة، وأعدك أن لا أتركك أبداً بعد الغد.

أنهت كارين شرابها:

ـ أنا على أهبة الاستعداد للذهاب إلى النوم وأنت تعب أيضاً.

أوصلها إلى باب غرفتها:

ـ نامي جيداً يا كارين. سأراك في أبكر وقت أستطيعه غداً.

دفعها إلى الداخل ثم ذهب.

وحدث ما أخبرها به إذ لم تجده عندما انضمت إلى سالي في المطبخ عند الصباح. سألت كارين عندما وضعت لها سالي الصحن على الطاولة:

ـ هل صحيح أنَّ الطقس غائم وبارد؟

ـ أجل... إنه بارد جداً في الخارج. لكن لا مطر يُفسده. تعالي لأدلك إلى آلة الطباعة التي أحضرها لك برايان.

سألتها سالي. بعد أن أجلستها وراء الآلة:

ـ ماذا يحدث عندما تخطئين ولا تلاحظين ذلك؟

ـ هذا عمل المصححين والمحررين. عندما أكتب قصة، فأفضل ما يفعلونه هو مراجعتها.

بعد أن أصبحت وحدها أمضت عدة دقائق لتعتاد على مكان وجود كل شيء تحتاجه، وما هي إلا ساعة حتى حضرت الخطوط الرئيسية لمقالتها ثم شرعت تكتب التفاصيل. مرت الساعات وهي مستغرقة في

عملها... وعندما سمعت وقع خطوات برايان في الردهة، لمست ساعتها فإذا هي الرابعة والعشرين دقيقة. تقدم منها ليريح يديه على كتفيها:

ـ ظننتك قلت مقالة لا كتاباً.

ـ أنسى نفسي أحياناً.

ـ أنا متسخ وجائع... ما رأيك بعشاء مبكر بعد نصف ساعة؟

ـ حسناً.

تركت أوراقها فوق الطاولة، ثم سارا معاً تمسكها ذراعه وقال برايان:

ـ سأمر لآخذك عندما أرتدي ثيابي.

عندما قرع بابها كانت قد ارتدت سروالاً أزرق حريرياً وبلوزة بيضاء... قال لها بنعومة:

ـ من المؤسف أن لا تري صورتك في المرآة يا كارين.

ـ ولماذا؟

طال سكوته فقالت:

ـ برايان؟

ـ كنت أفكر بماذا أجيبك. أنت شابة جذابة جداً. أحب أن أتأملك لأشبع ناظري منك.

انحنى باتجاهها ثم عانقها بشغف وقوة ولم يلبث أن ابتعد قائلاً:

ـ سالي تنتظرنا.

ـ هذا ليس عدلاً.

ـ ما هو؟

ـ أنت تستطيع أن ترى ما تتركه فيَّ من أثر بينما لا أشعر بمدى تأثرك بي.

ـ صدقيني يا كارين، تؤثرين بي وبمشاعري كثيراً.

وضع يدها تحت ذراعه ثم سارا معاً.

قالت له وهما على المائدة:

ـ هل تمت كل الإصلاحات اليوم؟

ـ معظمها... وما تبقى يمكن إصلاحه فيما بعد. لقد تلقينا معظم موجة المطر هنا، لذا لا خوف من السيول القادمة من الجبال، إنها عادة تحدث ضرراً أكثر من العاصفة وذلك بعد وقت طويل من توقف المطر.

عندما ذهبا إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة سألها:

ـ هل ذهبت لصيد السمك من قبل يا كارين؟

ـ اصطدت في البركة في مزرعة شقيقتي ولكنها لا تحتوي سوى على السمك الصغير. كنا نعتقد أنا وروبن أننا صيادين ماهرين كلما التقطنا سمكة صغيرة لا تشبع قطة.

قال وهو يضحك:

ـ نستطيع الذهاب فوق السد... المكان هناك جيد لصيد فراخ السمك النهري وسمك الذئب بعد كل هذا المطر.

ـ كم يبعد السد؟

ـ إنه على بعد عشرة أميال. نقطع المزرعة ثم نأخذ طريق الجبل. سنأخذ سيارة «الشيروكي» وستوضب لنا سالي سلة غداء أيناسبك ذلك؟

ـ هذا إذا كنت لا تمانع في وضع الطعم على صنارتي.

ـ ألا تحبين استخدام الديدان والسمك الصغير؟

ـ لقد فعلت هذا من قبل، لكنني لست واثقة من قدرتي على استخدامها الآن. ربما لن أستطيع تعليق الطعم جيداً.

ـ حسن جداً، لأجلك فقط، سأقوم بهذا.

ـ متى نذهب؟

ـ في السادسة صباحاً.

ـ سأكون جاهزة.

أمسكت ذراعه ثم سارا باتجاه غرفتها.

ـ تصبحين على خير يا كارين... سأراك عند الصباح.

استلقت على الفراش بعد دقائق، تاركة الباب مفتوحاً قليلاً لتدخل «بوتش» و«ألسي» وعندما دخلتا كانت تحس بنعاس شديد فلم تنهض لإغلاقه.

ـ انهضي أيتها الكسولة الساعة الخامسة والنصف.

استغرق صوته بعض الوقت ليصل إلى مسمعيها وذلك من شدة النعاس ولمّا فتحت عينيها قالت له:

ـ سأكون معك حالاً.

بعد أن انطلقا بالسيارة الشيروكي راح يصف لها تفصيلياً كل ما يمران به من مناظر يعتقد أنها قد تهمها. وقد مضت ساعة قبل أن يتوقف.

ـ يبدو لي أن المكان هنا جيد... تعالي؟

ونزلت من المقعد إلى ذراعيه ووضعها على قدميها:

ـ امسكي بذراعي واتبعيني يا كارين. المكان منحدر قليلاً، لذا انتبهي لخطواتك.

بعد دقائق قال:

ـ هذا عظيم... بقي أمامنا خطوات قليلة إلى مكان الصيد.

فرش الحرام الذي يحمله:

ـ اجلسي هنا لأحضر الصنارة لك وننزل إلى الشاطىء. أرى بعض الصخور التي نستطيع الجلوس عليها.

ـ لا يبدو كأننا في تموز.

ـ انتظري يومين وستعود الحرارة إلى سابق عهدها.

أخذت القصبة منه جاهزة لرميها في الماء.

ـ ارميها يساراً إلى البعيد قليلاً. فسأكون بقربك إلى اليمين.

أحست بالشمس المشرقة من خلف الجبال دافئة فاستندت إلى الصخرة وراءها. قال برايان:

ـ أتستطيعين النوم والصيد في آن؟

قفزت فجأة:

ـ صنارتي... إنها تتحرك.

ـ تمسكي بها، بهدوء ثم اسحبيها... تبدو سمكة كبيرة سأساعدك.

أمسكت ذراعاه بها ويداه تقودان يديها ببطء إلى أن سمعت صوت تلوي السمكة.

ـ اتركها تذهب.

ـ ماذا؟ إنها سمكة كبيرة يا كارين يندر أن نجد مثلها.

ـ كنت وروبن دائماً نترك السمك يعود إلى الماء.

أعاد السمكة إلى الماء دون أن يتفوه بكلمة بل راح يراقبها وهي تبتعد.

ـ أنت مجنونة.

ـ أنا آسفة.

ـ لا... أنت لست آسفة. هذه السمكة عرفت ماذا تفعل، لقد علقت بصنارتك بدلاً من صنارتي لأنها أحسّت بضعفك، اعترفي بهذا. هل سبق أن سحقت حشرة من قبل؟

ـ لا... ليس عن قصد.

ـ هل كنت قريبة جداً من روبن؟

تلاشت البسمة عن شفتيها، وقد أشاحت بوجهها بعيداً:

ـ نعم... برندا تكبرني بخمس سنوات، وهي من اعتنت بي بعد وفاة والدتي كنت يومها في الخامسة عشرة. وقد كان روبن جزءاً مني.

ـ هل كنت تعيشين مع براندا وأريك؟

ـ ليس بعد أن أنهيت دراستي. لقد ذهبت إلى الكلية وبدأت التدريس لكنني كنت أذهب إليهما دائماً. وأهتم بطفلهما.

ـ ماذا كنت تدرسين؟

ـ الانكليزية والصحافة.

ـ في «الباكويرك»؟

ـ أجل...

هز برايان برأسه:

ـ يا إلهي... ثمة الكثير لا أعرفه عنك يا كارين.

ـ لا أريد التحدث عن هذا حقاً يا برايان إضافة إلى أنني جائعة.

ـ انتظري هنا بينما أحضر الطعام.

لم يقطع هدوء الجو اثناء طعامهما إلا صوت الريح المتأوهة بين أشجار الصنوبر والأشجار المتنوعة يرافقها صوت العصافير المزقزقة ودوي المياه من الأعالي فوق الصخور.

ـ لماذا لست سميناً؟

ـ وكيف عرفت أنني لست سميناً؟

ـ لقد لمستك.

ما إن قالت ذلك حتى رفعت رأسها إليه وقد صبغ الخجل وجنتيها بالاحمرار.

ضحك قائلاً وقد رآها تعض شفتيها:

ـ لن تخفي احمرار وجهك ولك بشرة بيضاء كهذه يا كارين.

أمسكت بفنجان قهوتها. فقال لها:

ـ دعيني أسخنه لك قليلاً.

أعاده لها بعد لحظات، فتنهدت وغيرت موضوع الحديث:

ـ هل سالي إسبانية؟

ـ أجل... زوجها رئيس عمالي. لقد كانا يعملان في المزرعة قبل وفاة والدي منذ ست سنوات.

وجذبها لتقف، ثم سارا معاً على حافة المياه وهو يصف لها المناظر الملتفة حولها. كان الهواء قد برد قليلاً وقد شعر بجسدها يرتعش فجذبها إليه.

ـ أعتقد من الأفضل أن نعود الآن. لم أدرك أننا تأخرنا هكذا.

وجمعا أغراض النزهة، وقاد برايان السيارة ببطء فوق الطريق الوعرة

إلى أن بلغ الطريق الرئيسية. فاستقبلتهما الكلبتان استقبالاً عارماً. ألسي بنباحها وبوتش بارتمائها في أحضانها عند دخولهما قالت له كارين:

- برايان... أحس ببعض الألم في عيني. أحتاج للقطرة. هل تريد تفحصها قبل أن استعملها.

فأدارها لتواجهه.

- أنا أهتم بالقليل القليل من الناس. وأنت تهمينني كثيراً. أنا أعي قدرتك على العناية بنفسك لكن ثمة أمور كثيرة قد تخطئين فيها بسبب عماك. نعم يا كارين أريد رؤية القطرة قبل أن تستخدميها.

بعد أن جلس على السرير في غرفتها أعطته الزجاجة وسارع إلى قراءة الوصفة المكتوبة عليها:

- هل تعرفين ما هي مكوناتها؟

- لقد قرأت الوصفة واسماءها الطبية لكنني نسيتها. هي سائل مبرد ليس فيه مواد كيميائية مضرة.

- استلقي إذاً لأقطر لك في عينيك.

استلقت جامدة إلى أن أحست بالسائل الملطف يبرّد المنطقة المتهيجة من عينيها.

- أنت الآن أفضل.

- اه... أجل.

- أريد أن تذهبي لاستشارة الأخصائي في مستشفى هوبكنز... وسأتكفّل بكل النفقات.

- لا...

- لا تكوني عنيدة يا كارين. دعيني أساعدك.

- وكيف أرده لك؟ لو انتظرت نتيجة الفحوصات فربما كان فيها بصيص أمل.

- النتيجة ستأتي بعد وقت بعيد. أما بالنسبة لمالي فلا أريد استرجاعه.

هزت رأسها، وفتحت فمها لترد معترضة. ولكنه قطع اعتراضها بعناقه الذي أحدث فيها قشعريرة امتدت إلى كل انحاء جسدها في الوقت الذي لف هو ذراعه حولها وحفرت هي أصابعها في كتفيه وهي تشده إليها بكل ما أوتيت من قوة.

دفعها إلى الخلف لتستلقي فوق الوسائد ثم همس لها قائلاً:

- فكري بالأمر يا كارين... وسنتم حديثنا غداً...

- ولكن يا برايان...

وتوقفت، وعناقه ما زالت تشعر به حاراً في أعماقها.

مسح شفتيها باصبعه وقال:

- تصبحين على خير... سأخرج قليلاً في الصباح على أن نتناول الفطور عند العاشرة.

أصغت إلى وقع خطواته المبتعدة والارتباك يلف مشاعرها وذكرى زيارة مستشفى هوبكنز يربكها أكثر.

ماذا سأفعل الآن؟ تنهدت تنهيدة حارة متأوهة بينما ألسي تدخل الغرفة.

●●●

٦ ـ كوني لي

ما إن حلّ نهار الجمعة حتى كان طقس تموز قد عاد إلى حاله عندها خرجت كارين لتجلس في الهواء الطلق ثم أقبل إليها برايان ليحيط خصرها بذراعيه:

ـ أنا جائع... ماذا عندكما من فطور؟

ـ لقد شممت رائحة أقراص الحلوى بالغرفة. لكنني بقيت في الخارج حتى لا يغريني الطعام وأتناول واحدة أفسد بها شهيتي فلندخل لنأكل.

وما إن دفع الكرسي تحتها لتجلس حتى قال لها:

ـ ماذا تريدين أن نقوم به اليوم؟ ما رأيك لو نذهب إلى «ثاوس»؟ نستطيع الذهاب إلى المتحف ومعارض الفن هناك. ثم نتوقف لرؤية والدتي ولينا في المحل. ونستطيع أخذ الكلبتين معنا إذا أحببت.

ـ عظيم.

بعد أن شبعا قال لها:

ـ أمهليني دقائق لأكون جاهزاً بعدها سأتصل بوالدتي لأعلمها بقدومنا.

وصلا إلى ثاوس، فقال لها:

ـ ها قد وصلنا، المحل عند الزاوية، باتجاه الشرق. في الواجهة ثوب واحد وثوب استحمام، وبضعة صنادل وحقيبة. إنها جميلة. تناولي رسن «ألسي».

لحقت كارين بالكلبة إلى المحل. وقال برايان:

ـ مرحباً لينا، أتذكرين كارين؟

ـ بالطبع... مرحباً كارين. والدتك مع زبونة، سأستدعيها.

تقدمت والدته قائلة:

ـ برايان وكارين... لم أتوقع قدومكما باكراً. تبدين جميلة يا كارين. ادخلي إلى هنا حيث نستطيع التحدث.

ـ سآخذ كارين إلى المتحف كي تشاهد بعض الخزفيات التي صنعها الهنود المحليون. هل يمكننا ترك الكلبين هنا؟

ـ نعم لا بأس دعهما.

ـ متى العشاء؟

ـ سنغادر المحل إلى المنزل حوالي السابعة... لقد حجزنا في مطعم «فندق ثاوس».

ـ عظيم... هيا يا كارين فلنبدأ جولتنا.

وأمضيا فترة بعد الظهر يتجولان في المتاحف ومحلات بيع السلع القديمة حيث راحت تلمس الخزفيات بيديها بينما برايان يصف لها طريقة صنعها.

ووضع بين يديها شيئاً صغيراً:

ـ هذه دمية «كاشينا» إنها الرمز المفضل لدى الهنود.

أخذت تتفحص باصابعها قسمات الوجه الدقيقة، وقماش الفستان الخشن حول اللعبة.

ـ أذكر أنني قرأت منذ زمن أن لهذه الدمى معاني خاصة للسحرة أهذه هي؟

ـ أجل.. هذه دمية لا تزيد عن اثني عشر إنشاً، ولكن هناك أحجام أكبر... هل أعجبتك؟

عندما عادا إلى السيارة. أعطاها الدمية:

ـ ستحتاجين إلى تذكار من «ثاوس» لتعرضيه على ايسترسون وأصدقائك في الجريدة.

ابتسمت له وهي تسند رأسها إلى مقعد السيارة.

- هل أنت تعبة؟

- نوعاً ما.

- استريحي قليلاً في منزل أمي.

- وماذا ستفعل أنت؟

- لديّ مخابرات أجريها.

كان المنزل على بضع خطوات من السيارة. انتظرت إلى أن فتح برايان الباب. ثم أمسك بيدها ليقودها إلى إحدى الغرف.

- هذه هي الغرفة التي أنام فيها عندما أبقى هنا. سأحضر أغراضك من السيارة وأعود حالاً.

وقفت تنتظره إلى أن عاد يحمل ثيابها.

- الحمام أمام السرير مباشرة. وسأعلق ثوبك في الخزانة إلى اليسار.

- حسناً.

وما إن أصبحت وحدها حتى شرع ذهنها في العمل رافضاً الرّاحة لكنها نفضت عنها القلق واستلقت التماساً للنوم.

استيقظت قبل أن يأتي برايان إليها. ثم قصدت الخزانة لتأخذ منه الثوب الذي علقه. ارتدته ولم يبق أمامها سوى الحذاء.

عندما قرع برايان الباب ابتسمت:

- هل سرقت «بوتش» حذائي ثانية؟

فضحك:

- لا.. لقد نسيته في السيارة، وها هو. أنت جميلة، هل تشعرين بأنك أفضل حالاً الآن؟

- نعم لكنني أتضوّر جوعاً.

- لا عليك فبما أن والدتي ستدفع ثمن الطعام فلا بأس بأن نأكل الدنيا بأسرها.

وصلت والدته ولينا، وبعد بضع دقائق كانوا في طريقهم إلى الفندق. ومن التحيات التي استقبلتهما عرفت كارين أنهما زبونتان دائمتان للمطعم. وكانوا في منتصف تناولهم للعشاء عندما سألت والدته:

- كارين... هل قمت أبداً بعرض الأزياء؟

فردت دهشة:

- يا إلهي... لا... أعرف أن العارضة يجب أن تكون طويلة ونحيلة.

- كنت أنا ولينا نتحدث عن المظهر الذي قد تبدين فيه في تصميمنا الأسود الجديد الذي يلائمه لون بشرتك الأبيض الناصع.

فضحكت:

- قد أتعثر فأقع مفسدة بذلك العرض كله يا سيدة كالدويل.

- ناديني جولي أرجوك يا كارين. لو كنت تسكنين قريباً منا لكنت وضعتك على رأس لائحة العارضات المساعدات لنا للموسم الجديد.

واتخذ الحديث مجرى الأزياء وأحدثها.

سألتها جولي:

- متى ستعودين إلى منزلك يا كارين؟

- يؤسفني أنني سأرحل يوم الأحد ظهراً.

- ابقوا هنا حتى الغد يا برايان.

- لا يا أمي على كارين أن تستريح قليلاً فيوم غد هو يومها الأخير.

ودعوا بعضهم بعضاً على أمل أن تزورهما كارين ثانية.

أخذا بوَتش وألسي في رحلة العودة. دخلا المنزل بصمت عند وصولهما. فقصد برايان المطبخ ليعدّ لهما بعض العصير البارد بينما أخذت كارين تتجول في غرفة الجلوس وهي تلمس الأشياء فيها وكأنها تودعها. ثم أحست فجأة بلمسته الناعمة على خدها فاستدارت لتصبح بين ذراعيه. وبلطف جذبها إليه، دون أن يتفوها بكلمة وعندما أبعدها قادها نحو الأريكة فجلس إلى جانبها. ثم وضع الكأس في يدها.

www.elromancia.com

ـ لماذا تهمس؟

ـ لأنك رقيقة جداً.

ضحكا معاً ثم صمتا وهما يرتشفان الشراب البارد. وعندما مالت إلى كتفه رفع ذراعه لتريح رأسها على صدره. أخذ منها كأسها ثم راحت يداه تمران بإثارة فوق كتفيها وعنقها فجسدها.

ـ برايان؟

ـ هه...؟

ـ هذا... قد يكون..

ـ خطراً؟

تابعت يداه التجول فوق حنايا جسدها، فقالت:

ـ أ... أجل..

ـ لم أدنُ من هذا الخطر منذ زمن بعيد. فدعيني أبقى فيه.

أمسك بشعرها ليرفع رأسها إلى الوراء ناظراً إلى أعماق عينيها.

ـ هل ترينني؟ (همس لها).

ـ أجل...

ابتسمت. ثم مدت أصابعها إلى شفتيه، ثم إلى الندبة على خده الأيسر صعوداً إلى عينيه.

ـ هل هذه غمازة؟

ـ لا... إنها جرح.

ـ هل رفسك حصان؟

ـ لا... بل حادث سيارة.

ـ أوه أنا آسفة.

حاولت الابتعاد عنه لكنه أعادها إلى ذراعيه جاذباً إياها إليه.

ـ لا تبتعدي عن موضوعنا.

ـ وعمَّ كان الموضوع؟

ـ عن الخطر... خطرك.

وقف فجأة ممسكاً بيدها ليقودها إلى غرفة نومها. أغلق الباب وراءهما ثم امتدت ذراعاه لتحتضناها. ولمّا حاولت منعه كانت ذراعيه قد سبقتاها.

ـ كارين...

ضم جسدها إليه مطبقاً عليها ذراعاه بإحكام ثم دفن شفتيه في شعرها لكنه كما بدأ فجأة تراجع فجأة بأنفاس متقطعة ويدين مرتجفتين. سحب نفساً عميقاً ليهدىء أعصابه.

ـ سأراك في الغد.

وخرج.

حدقت كارين في الباب مذهولة جداً. بعد ذلك أوت إلى فراشها وهي تفكر بكل كلمة قالاها لبعضهما وأخيراً استسلمت للنوم.

استيقظت في اليوم التالي لتجد أن برايان قد خرج. وبعد تناولها الفطور في المطبخ مع سالي وصل برايان دون أن تحس بقدومه.

ـ أتريدين امتطاء الخيل؟

ـ أجل...

ورن جرس الهاتف في غرفة الجلوس فقال لها:

ـ اجلسي في الخارج قرب البركة وسأعود بعد قليل.

جلست على أقرب كرسي وقفت عنده «ألسي» ومررت يدها على مؤخرة رأسها حيث تشعر بالتوتر وإذ بصوت برايان يأتيها متسائلاً:

ـ كارين؟ هل أنت بخير؟

ـ أوه... طبعاً.

انتظرت غير واثقة ما إذا كان يريد متابعة الحديث أم لا وأحست بيديه تمسكان يديها عندما جلس قريباً منها على حافة المقعد:

ـ كارين... يجب أن نتحدث بجدية.

ـ بصدد ماذا؟ وما هو هذا الحديث الجاد؟ لن أذهب لمستشفى

هوبكنز وأستطيع أن أدفع . . .

ـ هل تتزوجينني؟

أتاها صوته وكأنه يسأل عن الساعة.

قطع سؤاله المفاجىء أنفاسها وتجمد الدم في عروقها. لكنها في الوقت نفسه سمعت أنفاسه المتسارعة الرتيبة. . . ماذا يجري بحق السماء؟

ـ برايان . . . لماذا؟

ـ ولماذا يتزوج الناس عادة يا كارين؟

انتظرت أن يتم كلامه. وعندما لم يفعل سألته:

ـ هل تحبني؟

ـ الحب أمر مبالغ في تقدير مكنونه يا كارين. لدينا كل شيء من أجل زواج ناجح.

وبدأ الغضب يعصف بها:

ـ وماذا لديك؟

ـ نحن صديقان وهذا أهم من الحب. كما أنني أريدك وأرغبك وكذلك أنت. أليس كذلك يا حلوتي؟

هزت رأسها بعد أن دفعته عنها لتضع يديها على وجهه:

ـ لا أصدقك. . أنت تريد أن تعيش معي دون أن تقول يوماً «أحبك» ودون أن تسمح لي بقولها؟ لا . . . لا يا برايان الحب هو . . .

ـ الحب فخ يطبق على ضحيته ليجعلها دون فائدة وقد يتلاشى ويندثر بين ليلة وضحاها.

ـ لماذا يا برايان؟ لماذا تريد الزواج مني في وقت تستطيع فيه الزواج من امرأة ثرية جميلة. ما أنا إلا عمياء عليك قيادتها ومراقبتها لئلا تضع الدواء الخاطىء في عينيها. أنا امرأة لا تستطيع الذهاب إلى مكان دون أن تكون معها مرافقاً وإن لم يكن بيننا حب. . . صدقني. . .

ـ هل انتهيت؟

ـ أعتقد هذا.

ـ هل تحبين تشارل أو أي إنسان آخر؟

ـ لا . . .

ـ إذاً تزوجيني.

غلفهما الصمت. بانتظار إجابتها. ولمّا أجابت كان صوتها هادئاً بينما قلبها تعصف فيه طبول تطرق عالياً.

ـ بيني وبين إيربي عقد تنتهي مدته في نهاية شهر آب فإذا كنت حتى ذلك الوقت تريد الزواج مني. . . فلا بأس.

ـ أنا لا أحب هذا الرد الغامض.

ـ إنه الرد الوحيد الذي لدي في هذه الظروف.

ـ حسن جداً يا كارين. . . سأنتظر. كنا قد اتفقنا على ركوب الخيل أما زلت ترغبين في ذلك؟

ـ أجل . . .

ـ لقد ركب رئيس عمالي بونتي هذا الصباح لذا سأعطيك «السوداء» إنها فرس عربية لطيفة.

تركت كارين «السوداء» تسير وراء برايان وجلست «بوتش» على السرج أمامها بينما أخذت ألسي تركض أمامها. كانت أفكارها متضاربة في عقلها وحركاتها تخرج منها آلية. برايان ليس ممن يحبون الثرثرة:

«ماذا سنفعل بعد أن نتزوج إذا كنا لا نحب بعضنا ولا نتحدث كثيراً؟ هذا سيفسح لنا وقتاً طويلاً للمغازلة»

ابتسمت لهذه الفكرة التي راودتها.

ـ لماذا تضحكين؟

ـ إنه يوم جميل يا برايان. كنت أفكر بالجو الحار في سولت ليك مقارنة مع هذا الطقس.

ـ يندر أن تشتد الحرارة في تموز وآب.

تابعا الطريق بصمت، ثم سمعت حصانه يقف فشدت رسن فرسها.

ـ فلنمش قليلاً.

مد لها يده فمالت إلى الأمام لتقفز إلى ذراعيه. ولكنه لم يمسك بها. بل استدار وسار معها يداً بيد وهما يقودان الحصانين.

ـ لقد قرأت مقالتك يا كارين. طريقتك في الكتابة واضحة بما فيه الكفاية كي يرى الجمهور ما لا تستطيعين رؤيته... ألسي وضعتك في عالم جديد بالكامل... أليس كذلك؟

ـ أجل...

ـ هل يعلم ايسترسون أنك ستتركين العمل في الجريدة عندما ينتهي عقدك.

ـ أجل... إنه يفهم لماذا.

ـ هل أنت مستعدة للعودة... فلا بدَّ لك من الرَّاحة قبل العشاء.

ساعدها في الوقوف وفي امتطاء «السوداء» بعد ذلك صارا يصمتان وقد غرقت في أفكارها فما قصة الندبة على وجهه؟ لقد قال إنه جراء حادثة سيارة. لكن ما تعرفه لا يكفي فهي تريد أن تعرف كل شيء عنه تريد أن تعرف أدق التفاصيل وأخصها في حياته.

عندما تركها برايان في غرفتها وحدها سارت نحو النافذة المفتوحة... «أريد أن أتزوجه... لكنني لا أستطيع!» علمت أنها قد تغير رأيها مراراً قبل نهاية شهر آب فاستلقت فوق السرير تتقلب فوقه والوحشة تقبض على قلبها، وحشة لم تشعر بها منذ وفاة روبن. ظلت كذلك إلى أن غرقت في نوم غير مريح. ولما استيقظت وجدت نفسها منزعجة.

أسرعت إلى الحمام فاستحمت ثم ارتدت ثوبها الأخضر فأعطاها دعماً معنوياً ولما قرع برايان الباب كانت على أتم الاستعداد.

كانت كارين تدّعي الأكل وهما لا يتبادلان الحديث على المائدة. كانت هذه وجبتهما الأخيرة في هذا الأسبوع الرائع، لكن ماذا تفعل بشأن

طلبه الزواج منها وإصراره على ذهابها إلى عيادة الطبيب في مستشفى هوبكنز، وماذا تفعل بنظرته إلى الزواج. لا بد أن في الأمر ما يزعجه. أيعقل أنه باق على حب زوجته؟ فإن كان الأمر كذلك فهذا يعني أنها امرأة عظيمة وأخذت تدفع الطعام بشوكتها.

ـ أنت تتلاعبين بطعامك يا كارين ألا يعجبك اللحم؟

ـ بلى.

حاولت التحدث بأي كلام مهما كان.

ـ لا تبدين واثقة من شيء.

وضعت شوكتها من يدها:

ـ برايان... لقد سررت بهذه الزيارة التي أقمتها معك... إنها أفضل إجازة قضيتها منذ سنوات طوال. لكنني لا أستطيع أن أتزوجك.

ـ لقد وعدتيني بالزواج بعد انتهاء عقدك وأنا متمسك بهذا. ادرسي الموضوع جداً حتى ذاك الوقت.

ـ ولكن...

ـ إذا كنت لا تحبين أحداً يا كارين، فزواجنا سيكون نافعاً لنا وأنا أريد أن أجعله زواجاً بكل ما في الكلمة من معنى.

ـ تريد كل شيء إلا الحب.

ضحك ثم قال:

ـ أنت راشدة يا كارين فكفى حديثاً عن هذه الهراءات العاطفية.

وأنهيا ما تبقى من الطعام بصمت. ثم خرجا إلى الخارج.

ـ إنها ليلة جميلة يا كارين. النجوم بارزة جداً إلى أبعد مدى والقمر هلال.

ـ متى يبرد الطقس هنا؟

ـ ليس قبل وقت طويل من طقس الباكويرك. بعد اوائل أيلول تأتي بعض الأيام الباردة، ثم في اوائل كانون الثاني يبدأ الثلج بالهطول وما إن يحل عيد الفصح حتى يكون الثلج قد غطى الجبال كلها.

- وهل تذهب للتزلج على الثلج؟

- لم أمارس هذه الرياضة منذ سنوات. أعتقد أنني قد أكسر ساقي في أول تجربة.

سارا فوق المرجة الخضراء... توقفت «ألسي» وقد أحست بالسياج قريب منها. قادتها يد برايان، ورفعت نفسها لتجلس على القضيب من السياج الخشبي، ثم جلس هو قربها.

جلسا بصمت دون أن تحاول كارين قطعه بحديث ما. فهذه الليلة كانت ليلة شبه صامتة في هذا الأسبوع الذي لن تنساه أبداً. تنهدت بصوت مرتفع:

- لم هذه التنهيدة؟

- كان أسبوعاً رائعاً لذا فإن العودة إلى حياتي الرتيبة ستزعجني.

- لا تعودي.

- أنت تغريني يا برايان وأنت بذلك غير منصف.

- ولماذا؟

- أنت تعلم أن لدي وظيفة وعقد مع ايربي الذي كان طيباً معي. لعل ما أصفه به هو أقل ما يمكن أن أصف به مساعدته لي.

قفز برايان عن السياج:

- أراهن أنني إن تكلمت معه أعفاك من العقد.

- لا...

- أنت عنيدة يا كارين.

فضحكت فجأة:

- وهل لاحظت ذلك؟

- مراراً.

أنزلها عن السياج لتحتضنها يداه، فكان أن وقفت على أطراف أصابعها لتكون قريبة من رأسه وليقدر على أن يحكم ضمها إليه. تحركت يداه إلى كتفيها نزولاً إلى خصرها فشدها إلى جسده القاسي بكل قدرته ثم

راح يعانقها بلطف أولاً ثم بإلحاح كبير حتى كاد يقطع أنفاسها. كان جسدها يتجاوب مع عناقه ومع لمسة يديه على شعرها وكتفها وعنقها وظهرها وهما تشدانها إليه أكثر فأكثر. ولما حاول استخدام شعرها لإبعادها عنه خرج منه صوت متهدّج:

- كارين؟

كان سؤالاً وجواباً في الوقت نفسه. واستجابت له ثانية بكل لهفة وحب وأصابعها تعبث بكتفيه وعنقه فوق ياقة القميص ولم تلبث أن انحدرت يداها إلى أزرار قميصه لتفكها.

فقال بصوت أجش:

- توقفي عن هذا يا كارين.

حتى وهي تعبث بأزرار قميصه بأصابعها أجابت:

- حسناً.

دفعها دون جهد وأحست بتحركه إلى أن لامست العشب واشتمت رائحة الأرض، وتسارع تنفسها باضطراب... واختلط نور الشمس بالظلام خلف عينيها المغلقتين وهو يهمس:

- حبيبتي...

توقف الزمن...

قال وهو يدفن وجهه في شعرها:

- سوف تتزوجينني يا كارين؟

صعد منها نفس عميق خرج من أعمق أعماق جسدها المتأوه:

- نعم يا برايان.

●●●

٧ ـ نور العيون

كانت مدينة سولت ليك غارقة في جوها الرطب كعادتها في منتصف تموز. ولم يكن يبدو على أحد الرغبة في أكثر من الذهاب إلى عمله ثم العودة إلى برك السباحة ومنازلهم المكيفة. ولم تكن كارين استثناء. وبعد اهتمام الجميع فترة بعودتها عاد كل واحد إلى عمله اليومي. كان بعض المراسلين في إجازة ومنهم تشارل. بعد أن قرأ ايربي مقالتها، أرسلها للطباعة مع بعض التعديلات البسيطة واستدعاها صباح الأربعاء إلى مكتبه، وسألها:

ـ أخبريني عن كل شيء يا كارين.

راحت تقص عليه كل شيء إلى أن وصلت إلى عرض الزواج الذي قدمه برايان.

ـ هل ستتزوجينه؟

ـ أجل.

ـ هل يمكنك الاستقرار على هذا يا كارين. وأنت تخفين عنه الحقيقة.

ـ أعتقد أن لا خيار أمامي. فأنا أحبه يا ايربي، وإذا كان سيتزوجني بعد أن يجد أنني لست عمياء تماماً... نعم أنا أعلم أنه رجل يكره الخداع.

ـ لديك الكثير من معطيات النجاح مع العلم أنني كنت أشك بحصولك ولو على قليل من النجاح في تجربتك هذه.

ـ أشكرك على اهتمامك بي يا ايربي.

بعد العمل استلقت في شقتها على الأرض وقربها ألسي. كانت

الأيام التي تمر تشعرها بأن ذاك الأسبوع الذي أمضته يبدو من نسج خيالها وأوهامها وكم كانت نبضاتها تتسارع كلما تذكرت تلك الساعات التي أمضتها بين ذراعيه حتى باتت تشعر أنها ملك يمينه وأنه قد ملك قلبها فوق ذلك كله.

سرعة تلاحق الأمور جعلتها تخاف. لكنها ظلت تستذكر لحظاتها الحميمة معه وفجأة رن جرس الهاتف مسبباً لها ولألسي الذعر.

ـ ألو؟...

ـ كارين؟

إنه الصوت الذي يجعل خفقات قلبها سريعة على غير عادة.

ـ أجل يا برايان... كيف حالك؟

ـ جيد تمتلكني الوحشة. أواثقة أنك لن تستطيعي المجيء إلى هنا في نهاية تموز بدلاً من نهاية آب؟

أحست برغبة في رؤيته، ولمسه فاحترق وجهها بنار الذكرى:

ـ ستدهشك سرعة قدوم نهاية آب وعندها ستضطر إلى الاعتياد على وجودي منذ ذاك الوقت فصاعداً لذا أنصحك بأن تتمتع بوحدتك ما دمت قادراً على ذلك.

بعد هنيهة من التردد قال:

ـ لقد ذهبت لأشتري لك خاتم الخطوبة، فوجدت اثنين أعجباني، ولكن الرأي الأخير لك، سأحضرهما معي الشهر القادم.

ـ وهل أنت قادم إلى سولت ليك؟

فضحك:

ـ لِمَ الدهشة؟ أنسيتِ أن خطيبتي تعيش بها.

تسارعت دقات قلبها إثرِ هذه الكلمات:

ـ يبدو هذا الكلام جميلاً. كيف عرفت مقاس الخاتم.

ـ لقد قدرت القياس بخمسة ونصف.

ـ تقدير جيد، لما لا تختار أنت الخاتم طالما تستطيع أن تراه.

ـ حسن جداً يا كارين، يمكنك تبديله فيا بعد إذا لم يعجبك.
ـ سأحتفظ بالذي اخترته أنت.
ـ كنت أعتقد أن النساء يفضلن انتقاء مثل هذه الأشياء بأنفسهن.
ـ أنا أثق بذوقك.
فضحك مستسلماً:
ـ حسناً... سأتصل بك لاحقاً هذا الأسبوع.

ودعها لكن الإثارة التي تركها في نفسها ظلت مشتعلة في ذاتها مدة طويلة. كان موعدها مع طبيب العيون قد حُدِّد في الخامس عشر من آب على أن تكون النتائج جاهزة في السابع عشر منه. ولو عرف برايان بهذا الموعد لأصر على أن يكون موجوداً. راحت تحاول وضع صورة له في خيالها من خلال ما استكشفته أصابعها من لمسها المتكرر له. في هذه اللحظة راحت تفكر بردة فعله التي ستكون إذا استعادت بصرها.

كتبت لبرندا رسالة مطولة، لم تذكر فيها أمر خطوبتها، وذكرت أن ايريي واثق من حصولها على الجائزة، كذلك من حصولها على تقدير كبير لدراستها حول الأطفال الذين يولدون وهم عميان.

مر الوقت وألسي تزداد شيئاً فشيئاً قرباً منها حتى غدت جزءاً من حياتها وظلاً لها وقد نالت هذه الكلبة محبة أصدقائها في الجريدة إلا تشارل الذي ظل بعيداً عنها. أما هي فلم تحاول أن تسترد تلك العلاقة التي كانت بينهما سابقاً.

كان يوم السبت، قبل أسبوع من موعدها مع الدكتور غراهام. وكانت المدينة رازحة تحت ظل حرارة قوية، تتجمع الغيوم المليئة بالرطوبة في السماء عندما سارت كارين ببطء وهي عائدة من المكتبة وألسي بجانبها.

استدارا عند آخر منعطف يوصلها إلى المنزل وإذ بألسي تبطىء في سيرها ثم تتوقف. شعرت كارين بأن جسد الكلبة يتحرك بينما ذنبها يهتز بتحية ودودة في اللحظة ذاتها التقت أنفاسها رائحة عطره المألوف.

ـ برايان؟
ـ مرحباً كارين. لن أسألك كيف عرفت بوجودي؟
توقفت هادئة ثم لم تدر كيف أصبحت بين ذراعيه وهو يرفع ذقنها إليه.
ـ في المكتبة ثانية؟
ـ نعم.
ـ من أين أتيت؟
ـ أخبرتك بأنني أشعر بوحدة قاتلة بدونك.
أمسك بيدها ثم انطلقا.
ـ هل لديك خطط لنهاية الأسبوع؟
ـ الأمر لا يتعدى القراءة وكتابة مقال علي الانتهاء منه قبل مساء الأحد.
عندما وصلا إلى شقتها المبرّدة قالت له:
ـ أتريد شاياً مثلجاً؟
ـ أجل...
تبعها إلى المطبخ ليقف قريباً منها وهي تصب كأسين أعطته أحدهما بعد ذلك عادا إلى غرفة الجلوس.
ـ شقتك الجديدة لطيفة.. وواسعة.
ـ اوه... أجل... لقد نسيت أنك لا تعرفها بعد... أنا وألسي لدينا فسحة كبيرة تخولنا التجول فيها براحة. أنا أشكر الإنسان الذي أمّنها لي كائناً من يكون وسأبقى مدينة له طول حياتي.
رفع يدها إليه وقبل أن تعرف ماذا سيفعل وضع الخاتم في يدها اليسرى:
ـ هل تقبلين بالزواج مني يا كارين؟
مدت يدها أمامها وأخذت تمرر أناملها فوق الخاتم.
ـ يبدو غريب الشكل.

- نعم... إنه من البلاتينيوم له لؤلؤة في الوسط وألماسة على كل جانب لم تجيبي عن سؤالي بعد.

- نعم... سأتزوجك يا برايان.

أحاط وجهها بيديه ثم انحنى إليها ليضع قبلة على جبينها.

- هل ترغبين في حفلة زفاف كبيرة؟

- لا.. وأنت؟

- لا... متى؟

- الأول من تشرين الأول؟

- لم لا يكون الأول من أيلول؟

- لن أنهي عملي قبل نهاية آب.

- ما الذي لن تنهيه؟

- عملي في الجريدة ونقلي الأشياء التي أحتاجها، إضافة إلى شراء ثوب الزفاف.

- ستجهز جولي هذا الثوب إن كنت لا تمانعين.

- هل أخبرت والدتك بموضوع زواجنا.

- بالطبع أخبرت أمي الحبيبة، لكن ما لم أخبرها به عدم حماسك للزواج مني.

- أقلت لها إنك لن تتزوجني حباً بي وإنما شفقة عليّ؟

- كارين كفاك هراء، لقد ناقشنا الأمر سابقاً.

جلست بصمت، تنظر مباشرة إلى عينيه، متمنية أن يغير رأيه.

قالت لنفسها: الآن وقت التراجع... ولكنها قالت عوضاً عن هذا:

- فليكن قياس الثوب «تسعة».

- إنها تعرف.

- كيف؟

- تذكري أنها تعمل في بيع الثياب وهي بارعة في الحكم على القياس ثم لقد نظرت إلى رقم قياسك وأنت في المزرعة.

فضحكت:

- هذا يُعد تسللاً.

أحاطها بذراعيه ثم سألها هامساً:

- هل تحبين ارتداء الأبيض؟

كانت جامدة بين دائرة ذراعيه ورأسها على صدره الرحب.

قالت هامسة:

- لست أهلاً لارتدائه.

- بلى إن أردت.

- لا... أحب اللون الأزرق أو الأخضر.

قبّل أناملها التي مدتهما إليه ثم حملها بين ذراعيه وهي تحيط عنقه وأوصلها إلى غرفتها حيث وضعها على السرير ونبضات قلبه تضج بين أضلعه:

- أريدك يا كارين. فلا تعذبيني بلظى الانتظار.

أصرّ برايان على إعداد طعام الفطور بنفسه في اليوم التالي.

- ستقلع طائرتي عند الثانية، وهذا يعني أن بمقدورك إتمام مقالتك فلا أريدك أن تطردي من عملك بسببي.

- أين تعلمت الطبخ؟

- علمتني إياه جولي منذ زمن إذ قالت لي يوماً إنني قد أضطر للطبخ لزوجتي. وعلي أن أقول لها إنها كانت على حق.

مدت اصبعها تتحسس الخاتم.

- برايان؟

- نعم يا كارين؟

- هل أنت واثق؟

- نعم كل الثقة أخبريني بم تشعرين بشأن هذا الزواج؟ لكن اعلمي أنني لن أدعك تهربين مني مهما كان ردك.

- زواجي منك أفضل صفقة.

ـ كيف ذلك؟

ـ أنسيت أنك غني، لعلك لا تنتبه لهذا الأمر ما دمت قد عشت حياتك كلها في رخاء. أنت لا تدري قيمة النعمة التي بين يديك.

ـ أيهمك الغنى حقاً يا كارين؟

ـ لست أدري يا برايان. لكن الحياة صعبة.

ـ هيا بنا لنأكل.

سألته وهي على مائدة الطعام:

ـ على ماذا ستحصل من هذا الزواج يا برايان؟

ـ عليك.

ـ وهل هذا يكفي؟

ـ أجل... وسترين ذلك بنفسك.

ـ كيف

ـ هل تريدينني أن أريك كيف؟

احمر وجهها، فازدردت لقمتها، وهزت رأسها فقال:

ـ أنت تحمرين خجلاً بشكل رائع يا كارين.

بدت الشقة بعد رحيله فارغة. راحت تنتقل فيها من غرفة إلى أخرى قلقة مما سيحدث. فكيف سيتزوجان على أساس الرغبة والشفقة التي ينكرها. أما الحب بحسب رأيه فهو ليس ضماناً لنجاح الزواج. ولعله على حق هذا إذا كان الحب غير متبادل بين الطرفين.

«لم أعرف أن عندي كل هذه المشاعر القوية. يا إلهي عندما أكون قريبة منه أعجز عن قول «لا» مهما طلب مني».

دفنت رأسها في وسادتها.. ثم غطت في النوم.

قال لها الصوت الأجش القوي:

ـ استرخي يا كارين... لن يطول الأمر أكثر من هذا.

لكن الجلوس في عيادة الدكتور غراهام، لا يساعد على الاسترخاء خاصة وأنها متوترة مشدودة الأعصاب بعد سنة كاملة من وضع

الاسطوانات، التي جعلتها عمياء حقاً بالنسبة لها وللعالم. عبرت عن قلقها عندما تكلمت معه لكنه طمأنها قائلاً:

ـ لا لقد تحسنت خلال هذا العام.

وبينما الدكتور يعمل، أخذت تفكر بما قاله لها ايربي:

ـ لقد حصلت على المنحة التي أُعطيت لأبحاث العمى عند الأطفال المولودين حديثاً، عند الدكتور أليكس كورك، في عيادة «ديربي شاير» لطب العيون. وكل النتائج ستذاع في كل البلاد على يد الدكتور غراهام. وقد دُفعت الألفي دولار لتغطية باقي فواتير روبن، وهذا شيك بسبعة آلاف دولار لك. وأنت بالتأكيد تستحقينها.

قال لها الدكتور غراهام.

ـ ماذا ترين الآن يا كارين؟

ـ اللون الرمادي الضبابي.

ـ هذا جيد... استلقي هنا ساعتين لأضع لك بعدها المزيد من القطرة قبل أن أضع لك الرباط اللاصق.

عادت إلى شقتها مع ألسي بعد الثامنة وهي فارغة المعدة إذ لم تتناول شيئاً منذ الصباح. كانت في هذه اللحظة بحاجة إلى البكاء أكثر منها إلى الطعام مع أن البكاء يضرها فقد حذرها الدكتور من فرك عينيها لأن ذلك سيتسبب بانعكاسات سلبية. أزالت الرباط ثم أبقت عينيها مغلقتين، وهي تبلل بضع محارم ورقية من دموعها حذرة من الضغط على عينيها. ولما جففت الدموع أعادت رفع الرباط على عينيها وحول رأسها.

رن جرس الهاتف، فنفخت أنفها وتنحنحت ليبدو صوتها طبيعياً وجاءها صوت برايان:

ـ كارين؟ هل أنت بخير؟ أين كنت حتى الآن؟

ـ اوه... لقد خرجت مع ألسي لأغطي أخبار السوق الموسمية الريفية. كان علي أن أقول لك إنني سأغيب طوال النهار.

ـ لقد أحسست بالقلق بعد أن اتصلت بك مراراً وما من إجابة كيف

حالك؟

- بخير... الطقس ألطف الآن بعد أن هطل المطر البارحة. وأنت كيف حالك؟

استمعت إليه يتحدث وهي تشعر بصوته يبعث الرعدة في جسدها وكأنه يلمسها. وقبل أن تودعه قالت:

- سأنشغل في جمع بعض المعلومات عن الولاية الأسبوع القادم لذا فقد لا تجدني في البيت إلا قليلاً. سأتصل بك من حيث أكون.

- اتصلي بي عندما تستطيعين.

صباح الاثنين تركت ألسي مع ايريي وذهبت إلى عيادة الدكتور غراهام. ومنذ ذلك الوقت لم يتركها وحدها إذ شرع في سلسلة فحوصات ليتأكد من عدم إصابة قرنيتها بأي ضرر.

يوم الخميس سمح لها بالخروج من العيادة لساعتين وهي تضع نظارة سوداء ثم أجريت لها فحوصات أخرى. وبعد الغروب، سارت في الخارج دون نظارات. وفي كل مرة كانت تشاهد فيها شجرة أو منزلاً كان قلبها يضرب بشدة وأنفاسها تتسارع محاولة كل جهدها منع نفسها من الصراخ وهي ترى أن بصرها يرتدُّ إليها. فبعد سنة من الظلام الدامس أصبحت على عجلة من أمرها لرؤية كل شيء من جديد.

وكان الدكتور غراهام ينتظرها في غرفة الفحص الصغيرة وهي تعود. فأجفلت عندما وجه إلى عينيها الأنوار الخافتة ولم يلبث أن تراجع وهو يفرك يديه بسرور:

- لقد نجحنا يا كارين... لقد نجحنا.

اضاء لوحة أحرف أمامها:

- ما هو الشيء الثالث الذي ترينه في اللوحة وما لونه؟

- إنه كرة حمراء وبيضاء ورزقاء.

- صح.

غيّر الصورة:

- وهذه.

تلاشت اللوحة لحظة عن ناظريها فاعتراها الرعب وراحت ترفرف عينيها مراراً إلى أن عادت إلى رؤية اللون الأصفر.

- إنها سلة من الورود الحمراء وباقة من النرجس الأصفر.

صمت الطبيب أما هي فحبست أنفاسها، عندما لمسها جفلت مذعورة:

- لقد تفحصت كل شيء يا كارين، وسنتابع وضع القطرة بطريقة منتظمة.

ساعدها على الوقوف ثم أعطاها النظارة السوداء الخاصة.

- ضعيها على عينيك إلى أن ينتهي العلاج.

تلك الليلة واجهت صعوبة في النوم فقد راحت أفكارها تنتقل من روبن إلى برايان إلى الزفاف المقترح. والشكوك في رأسها تطارد الفرح والفرح يطارد الضبابية التي تهددها في المستقبل.

لماذا لم أخبر برايان بما جرى؟ ولماذا وافقت على الزواج منه؟

واستسلمت أخيراً للنوم قبل طلوع الفجر بقليل.

استيقظت قبل وقت طويل من حضور الدكتور غراهام صباح الجمعة، ولكنها بقيت في سريرها، والنظارة السوداء فوق عينيها وسألها:

- حسناً يا كارين... هل أنت جاهزة؟

- أجل.

جرّ آلة تشبه الكومبيوتر قريباً من فراشها:

- هذا سيبث شعاع اللايز إلى داخل عينيك كي تشفى الخلايا الدقيقة حيث الالتهابات. الشعاع وحده سيلامس عينيك... استلقي بهدوء ولن تشعري بشيء.

سمعت صوت زر الآلة، ثم صوتاً ناعماً وقال الدكتور:

- هذا كل شيء.

دفع الآلة بعيداً.

ـ دورة أخرى من القطرة وسنتنهي. وكل ما يبقى قراءة النتيجة وكتابة التقرير... انظري إليّ يا كارين.

أبقت عينيها مغمضتين وقد غلبتها العادة لكنها لم تلبث أن أحسّت برموشها ترتفع وعيناها تنظران إلى الطبيب.

ـ إبقي عينيك مفتوحتين ما أمكنك ذلك حتى أفحصهما.

أبقت نفسها مقطوعاً وهو يوجه النور إلى عينيها، وعندما أبعده قال لها:

ـ كيف أبدو لك؟

ـ أنت أوسم رجل رأيته.

ربت على يدها ضاحكاً.

ـ انتبهي قد أبقيك هنا إلى الأبد. استحمي إذا أحببت إنما لا توصلي الماء إلى عينيك، لذا لا تغسلي شعرك بل أريدك أن تبقي في الغرفة طوال اليوم وابقاء الستائر منسدلة. وسأراك الليلة.

عندما أغلق الباب وراءه تنفست الصعداء وانزلقت فوق الوسادة لتغرق في نوم عميق من جراء إرهاقها.

فتحت عينيها ببطء فوجدت أن الغرفة مظلمة والستائر مغلقة والسرير القريب منها مرتباً أما الأرض فقد بدت لامعة. سألها صوت الدكتور غراهام المألوف وهو يضحك:

ـ هل بدأت ترين؟

ـ من الصعب التصديق. لقد نجح الأمر. الخطة المجنونة نجحت.

أخذت ترتجف وهي تدرك أن ما أصابها الآن هو الهدف من هذه التجربة وما أملوا أن يعرفوه. هو إمكانية شفاء خلايا العين التعبة بواسطة اللايزر الذي لم يكن قد استخدم من قبل.

ـ وماذا سنفعل الآن؟

ـ سنستمر في الاختبارات، مستخدمين الأموال التي حصلت عليها

بقبولك هذا الأختيار. يوم اخر من المراقبة وتعودين بعده إلى بيتك.

تركها الطبيب وخرج. فأخذت تنظر إلى يديها، لقد اتبعت تعليماته وأبقت كل مجوهراتها في المنزل. وتساءلت كيف يبدو خاتم خطوبتها يا ترى؟ وألسي ما شكلها؟ أغلقت عينيها لتتصور تلك الكلبة التي أصبحت جزءاً من حياتها رغم قصر المدة التي امتلكتها، ارتعش جسدها لتذكرها ماذا فاتها من مشاهد خلال السنة المنصرمة.

سأرى برايان... أحست على الفور بذراعيه حولها فارتجفت ووضعت رأسها على حافة الوسادة ثم أخلدت للنوم.

اتصلت في اليوم التالي بايربي، الذي حضر خلال ربع ساعة. وفتح لها باب السيارة. ففزت ألسي من فوقه واحتضنتها كارين وهي تهمس:

ـ كم أنت جميلة، كنت أعلم هذا لكنك أجمل مما تصورت لن أتخلى عنك أبداً.

قال ايربي:

ـ وماذا عني...؟

وقفت كارين وطوحت بذراعيها حول الرجل الذي لم تشاهده من قبل.

ـ لقد تصورتك وسيماً... وكنت على حق.

ـ كيف كانت النتائج؟

ـ يقول الدكتور غراهام، انهم جمعوا معلومات كافية في السنة المنصرمة عن المناطق التي يصاب أطفالها بالعمى منذ الولادة. وبعد نجاح طريقة اللايزر في العلاج فلا بدَّ أن يعمَّ النبأ. عيادة «ديربي شاير» بدأت منذ مدة مثل هذه التجارب والأموال التي حصلنا عليها للتمويل عبر المقالات ستعطيهم مزيداً من المقدرة لإكمال الدراسات. كذلك فإن الاهتمام الذي سيحصلون عليه في كل البلاد سوف يسمح لهم بطلب الاكتتاب للسنة القادمة.

هز ايريي رأسه:

ـ عندما أتيت إليَّ أول الأمر أعطيتك الوظيفة ولم أكن أدري ما إذا كنت أنا المعتوه أم أنت. وقبل أن ينتهي هذا الأمر أدركت أننا كنا نحن الاثنين معتوهين.

انطلق بالسيارة في وسط الزحام. ثم سألها فجأة:

ـ أواثقة من صحة قيامك بالزواج من برايان؟

ـ أجل.

جعله صوتها الحازم يدرك أن لا طائلة من مناقشة المسألة.

أخذت تنتقل في شقتها من مكان إلى آخر تتعرف إلى الأشياء المعروفة لها باللمس لا بالرؤية ولما وجدت ألسي واقفة تشخص بصرها إليها ركضت إليها محتضنة هذا الوجه الذي اعتنى بها في الأسابيع الأخيرة.

ـ لماذا لا أحصل بفعل ساحر على عشرة من أمثالك للأطفال المساكين الذين حُرموا نعمة البصر. أتيتني أيتها الصغيرة من المجهول ومن المؤكد أن صاحب هذا العمل قادر على تكرار ما فعل.

دخلت غرفة النوم فرأت السرير مرتباً قربه الخزانة الصغيرة التي وضعت عليها علبة المجوهرات الصغيرة. ارتجفت يدها وهي تفتح العلبة شاخصة البصر إلى الخاتم الذي يقبع داخلها. مضت لحظات قبل أن تمسك به لترى لمعان الماستين المرصوصتين على جانبه، أدخلت الخاتم في اصبعها فرأته أكثر لمعاناً من خلال دموعها.

عادت إلى غرفة الجلوس، فراحت تحدق في الهاتف خائفة من الاتصال ببرايان... لكنها أرادت في هذه اللحظة أن تقص عليه ما حدث معها منذ بداية التجربة كما تريده أن يعطف على برندا وأريك كما عطفت هي عليهما؛ كانت هذه السنة أشق سنة مرت بها في حياتها إذ ليس من السهل ادّعاء العمى الأبدي في حين أنها تعلم يقيناً أنها ستشفى قريباً لكن ما العمل وهي قد قطعت وعداً بألا تبوح بشيء لأحد إكراماً لابن أختها

المسكين.

قبل أن تتمالك نفسها رن جرس الهاتف ممزقاً الصمت حولها. أغلقت عينيها لتعود إلى الظلام الذي اعتادته وهي تقول:

ـ كنت أستعد للاتصال بك. لدي حجز على الطائرة المتوجهة إلى الباكويرك في الأول من أيلول.

ـ الباكويرك؟

ـ أجل أردت أن أرى برانداً وأريك قبل أن أذهب إلى سانتا فاي... لم أقل لهما بعد إننا سنتزوج.

ـ ولماذا لا؟

ـ خفت أن يكون الأمر كله حلماً من نسج خيالي.

ضحك:

ـ والآن؟

فتنهدت:

ـ ما زلت حائرة... ربما عندما أراك مجدداً، سيبدو الأمر حقيقياً.

ـ سألتقيك في الباكويرك.

فشعرت بالذعر:

ـ لا... أفضل أن لا تفعل.

ـ لا أظن أن باستطاعتي الانتظار. ولأكون واضحاً الأمر لا يعجبني. أيمكن أن نتزوج يوم الأحد؟ لقد أجريت كل الترتيبات.

ـ في السادس من الشهر؟

ـ أجل... جولي، والدتي، أنهت فستانك، وتريدك أن تجربيه حال أن تصلي إلى هنا.

ـ هل هو جميل؟

ـ نعم، بدا رائعاً مثلك. أما بشأن اللون فلا تسألي بل انتظري المفاجأة.

ـ حسن جداً... سأتصل بك من الباكويرك.

كان السفر هذه المرة مختلفاً. صحيح أنها كانت تسمع الأصوات نفسها لكنها الآن ما عادت غارقة في الظلام بل عيناها تنظران إلى الغيوم في سماء الصيف. بقيت عيناها تتأملان الفضاء إلى أن حطت الطائرة على أرض نيو مكسيكو.

كانت براندا تقف في المكان المخصص داخل منطقة الانتظار. وأخذت كارين تتأمل قسمات شقيقتها الصافية الشاحبة. وعينيها الزرقاوين اللتين تظللهما رموش سوداء طويلة تشبه لون شعرها اللامع الذي يسترسل إلى كتفيها.

ولم تتكلم الشقيقتان بل حدقتا إلى بعضهما لفترة طويلة قبل أن تحتوي براندا شقيقتها بين ذراعيها لتشدّها إليها وكأن الحياة قد عادت إليها من جديد.

وبقيت عينا برندا على وجه كارين وهي تقول:

ـ لقد تلقينا إيصال فاتورة المستشفى المدفوعة كما دُفعت كل الديون الأخرى ولم يبق سوى دين صغير على المزرعة سنسعى لتسديده في أقل من ستة أشهر.

ـ أنا سعيدة.

ـ اوه يا كارين. نشكر صنيعك إننا عاجزان عن رد معروفك أبداً.

ـ لا داعي لقول هذا. أتعلمين... كل شيء يبدو جميلاً حتى اضواء السير.

أثناء تناول العشاء لم يتوقف الكلام بينها وبين شقيقتها وصهرها، ثم سألتها شقيقتها فجأة عن برايان. ودون تفكير قالت كارين:

ـ سأتزوجه يوم الأحد.

ـ كارين! أما زال يعتقدك عمياء؟

ـ أجل.

سألها أريك:

ـ كيف ستفسرين له الأمر؟

ـ سأقول له الحقيقة وليته يتقبلها بصدر رحب.

ـ سيغضب وهذا حقه.

هزت رأسها:

ـ أعلم. ما استطعت إخباره بذلك قبل الآن مع أن ذلك ما كان عليّ فعله حقاً.

كانت تتهيأ للنوم عندما اتصل برايان:

ـ لقد وصلت منذ لحظات من دنفر، وكنت لأُسرع إليك لولا ذلك.

متى تصلين؟

ـ الجمعة.

ـ ستتزوج الأحد يا حبيبتي... فليكن وصولك الجمعة باكراً.

فضحكت:

ـ أجل يا برايان سأصل باكراً... برايان؟

ـ نعم يا كارين؟

أرادت أن تقول له «أحبك» ولكنها لم تفعل:

ـ لا شيء. سأراك قريباً.

الخميس بعد الظهر، غادرت الباكويرك كما خططت، وهي ترغب في الوصول في وقت لا يكون فيه برايان في البيت. استدارت إلى اليسار إلى الطريق نحو المزرعة. وأوقفت سيارتها الموستنغ إلى جانب الطريق، وبعد لحظات تابعت سيرها حتى وصلت إلى بوابة مزرعة أرض برايان ليطالعها منزله على مرمى البصر.

وما إن شاهدته حتى صاحت: «يا للسماء!» أحست ألسي بتوترها فمدت رأسها فوق المقعد باتجاهها. لقد ذكر لها برايان أن المنزل من طابق واحد، ولكنه لم يذكر لها حجم مساحته الكبير. وتغلب الفضول على توترها فأسرعت بالنزول من السيارة ثم عبرت الباب الذي تعرف أنه يوصل إلى المطبخ ونادت:

ـ سالي؟

سمعت خطوات وراءها فاستدارت... لتجد برايان أمامها.

صعقت لرؤية الرجل الذي تحب أمامها على غير توقع. كان طويلاً مديد القامة نحيلها. مستقيم الجسم ذا شعر كثيف بني بلون الدبس المتموج يرده إلى الخلف ليظهر عن جبهة عريضة. فمه الذي لامسته ولامسها مراراً كان مشدوداً إلى الأعلى عند الزاوية اليسرى من جرّاء ندبة عميقة كانت قد لمستها أصابعها. بدا الجلد تحت عينيه اليسرى الملتوية إلى الأسفل مجعداً. يا إلهي لم تتوقع هذا المنظر ولم تتصور أنه هكذا. بعد ذلك انتقلت عيناها إلى الجانب الآخر ولم تلبث أن حطتا على عينيه:

- برايان!

خطت إلى الأمام لتعانقه ولكنه أبعدها عنه.

- كيف وصلت إلى هنا يا كارين؟

علمت أنه قد أحس بأنها مختلفة، ثم قال مستغرباً:

- وعيناك خضراوتان.

- أجل... اوه يا برايان... أنا أراك.

اشتدت قبضتاه على كتفيها:

- كيف؟ ومتى؟

- إنها قصة طويلة... هل يمكن... هل يمكن أن نجلس؟

وأخذت تسرد له القصة منذ بدايتها وصولاً إلى اليوم الذي كادت تدوسها سيارته.

- لماذا لم تخبريني؟ ألست أهلا للثقة؟

- أردت هذا، لكن كان عليّ إتمام العقد. كنت أخاف إن أخبرتك أن أنسى الواقع الذي أعيشه. لقد بذلت جهدي خلال هذه المدة في الابتعاد عن الناس لئلا أتورط عاطفياً فينعكس ذلك سلباً على الاختبار.

- وتشارل؟

- لم يكن الأمر صعباً معه... كنت أنت مشكلتي الوحيدة.

نظر إلى شعرها اللماع. وإلى عينيها الخضراوين اللتان ما عرفهما إلا

عسليتين:

- إذاً... أنت تعرفين الآن أن الرجل المخطوبة إليه بعيد كل البعد عن الوسامة. أما زلت تريدين الارتباط بي كزوجة؟

لوت ابتسامة زاوية فمه اليسرى إلى الأعلى... أجابته بصوت يكاد يكون همساً:

- هل أنت غاضب مني؟

ارتفع حاجبه الكثيف فوق عينه السليمة:

- بل يجب أن أسرّ لارتداد البصر إليك.

- لم يعد لديك ما يحدوك إلى الشفقة.

- لم أقل إنني أشفق عليك. كانت تلك فكرة اختلقتها أفكارك. ألا تذكرين الأسباب التي دعتني لطلبك للزواج؟

غمرها الفرح لردة فعله أمام ارتباكها، فعادت لتجلس على الأريكة بقربه ودست نفسها بين ذراعيه.

- أجل يا برايان أذكرها... أرجوك عانقني...

●●●

٨ ـ جراح الماضي

لم تستطع ذراعاه السيطرة على الرّجفة التي ولدّها إحساسها بأنها قربه وبين أحضانه. كان قد أنصت إلى قصتها دون أن يعلق بكلمة، نعم هي لم تستطع إخفاء صدمتها لمرأى جانب وجهه الوسيم الذي تشوهه ندبة عميقة ملتفة، مما كان يجبر عينه اليسرى على أن تظل مفتوحة معظم الوقت. فأن يعرف المرء بوجود جرح ما يختلف كل الاختلاف عن الرؤية. تملكتها شفقة على برايان وكم أسفت لعدم بوحها له بسرها.

أبعدت رأسها عن كتفه لتمسك وجهه مبتسمة، لكنه ردّ رأسه إلى الوراء بحدة ما إن لمست مكان الجرح.

اتسعت عيناها من الدهشة، فقد لمست هذه الجراح مراراً قبل الآن ولم يحدث أن تراجع قط، قالت له:

ـ لا يهمني الأمر يا برايان.

فقاطعها بصوت بارد كالفولاذ:

ـ ألا يهمك هذا يا كارين؟ لا يمكنك الجلوس هكذا تنظرين إليّ لتقولي إن هذا المنظر البشع لا يخيفك؟ هل هذا يعني أنك لا تكترثين أو تخجلين من مسيرك معي والناس تراقبك وتراقبني فتشمئزين من منظري؟

ضحك بنعومة، ولكنها أحست بالرعدة وهي تنظر إليه:

ـ أنت لطيفة جداً يا كارين. والآن، بعد أن عرفت شكل فمي، فمن أية جهة تفضلين أن أقبلك، اليمين أم اليسار؟

وتمسكت به بعيدة عنه، ثم راحت عيناها تجولان فوق قسمات وجهه الصارمة ولم تلبث أن مررت اصبعها عمداً فوق الجرح.

ـ كنت أعلم بوجود هذه الندبة وقد وصفتها لي برندا. نعم لا أنكر أنها اسوأ مما تصورت لكنها لن تؤثر بمشاعري أو تبدلها. لقد قبلتني زوجة لك وأنا عمياء دون أن تخجل بي وجرحك ليس أقبح من العمى.

ـ لو استعملت قليلاً من المنطق يا كارين، لوجدت أن هناك فرقاً بين الحالتين.

فهزت رأسها:

ـ أنا مسرورة لارتداد البصر إليَّ ولقدرتي على رؤيتك. لا يستحق جرحك أو عماي المشاجرة فما يهمني هو أنني معك.

ـ حسناً سنتزوج كما خططنا.

كان صوته وكأنه يقرر أمراً واقعاً ببرودة ليس فيها شيء من الرقة أو الحنان. أرادت أن تعترض لكنها لم تستطع إذ امتدت ذراعه لتضمها إلى جسده القاسي ولتقطع كلامها بعناق دفين. لكنه فجأة ابتعد عنها وسط نظراتها الحائرة من ردة فعله.

مد يده لها ليساعدها على الوقوف:

ـ أعتقد أن الجميع سيسرون لاستعادتك بصرك.

تقبل الجميع التفسير الذي قدمه برايان من أن العلاج قد نجح في إعادة النظر إلى كارين أما لون عينيها فقد قال انه ما هو إلا لون العدسات اللاصقة التي هدفها حماية عينيها الحساستين من النور القوي. وقد كان لهذه المعلومات أثراً كبيراً في بعث النشاط إلى هذا الزفاف.

وقفت كارين أمام جولي تجرّب فستان الزفاف، كان لونه بلون اللافندر الليلكي الفاتح مع رباط عند الخصر واسع من الأسفل وضيق من فوق. لم تستطع كارين كبح جماح فضولها أكثر من هذا، فسألت جولي:

ـ جولي... ماذا حدث لوجه برايان؟

والتفتت إليها المرأة المسنة:

ـ ألم يخبرك؟

لما هزت كارين رأسها نفياً أردفت المرأة.

ـ صحيح أنه لا يأتي على ذكر الموضوع إطلاقاً لكنني ظننته قد أخبرك عنها. عندما كان عائداً من حفلة ساهرة في سانتا فاي مع زوجته التي كانت تقود السيارة وقع لهما ذاك الحادث. في ذاك اليوم كانت غاضبة منه لأنه رفض أن تعبث مع الرجال الموجودين في الحفلة أمام أنظار زوجاتهم. كانت تقود السيارة بسرعة مجنونة إلى أن فقدت السيطرة على السيارة فوقع لهما ما وقع. أصيب برايان بإصابات بالغة أبقته في المستشفى ثلاثة أسابيع ترك بعدها المستشفى وهو على ما عليه اليوم ولم يعد يستطيع التزلج الذي كان شغوفاً به بسبب كسر أصاب ساقه. أما هي فلم تصب بأذى يذكر لكنها بعد ذلك ما عادت تطيق رؤية وجهه فكان أن طلقها بعد سنة.

ووقفت كارين صامتة تصغي إلى القصة وكره عميق يتولد لديها تجاه تلك المرأة التي لا تعرفها. امتد الصمت بينهما إلى أن قطعته جولي:

ـ ما هو شعورك تجاه الجرح يا كارين؟

ـ أنا لا ألوم زوجته على تركها له.

نظرت والدته إليها بحدة، فأردفت:

ـ لو نظرت إليه كل يوم وأنا أشعر بأنني المسؤولة عمّا حدث. فلن أطيق صبراً على ذلك وأنا التي أحب برايان حباً جماً.

قبّلت جولي كالدويل وجنتها دون أن تقول كلمة واحدة ثم تابعت عملها.

في العاشرة من صباح يوم الأحد اجتمعت المجموعة الصغيرة في غرفة الجلوس الضخمة، وقد شرع القاضي وليم كرينتون، صديق العائلة القديم بالقيام بمراسيم الزواج ليصبحا رسمياً زوجاً وزوجة، عندما انتهى قبلته وفيها أكثر من وعد تلقتها ببسمة صادقة ترقص فيها عيناها الخضروان تعبيراً عما تكنه من حب كبير وقد نسيت لحظتها أنه يريدها فقط لارضاء رغباته الجسدية فقط.

كانت حفلة الاستقبال مناسبة عائلية كبرى، تجمع فيها بعد الظهر كل

العاملين في «مرتفعات كالدويل» احتفالاً بالحدث. بعد ذلك غادر الجميع متمنين لهما السعادة.

رافقته كارين وهو يشرف بنفسه على إغلاق النوافذ قبل الإيواء إلى النوم.

ـ أتشربين شيئاً؟

ـ لا... لقد اكتفيت. هل أنت تعب؟

ـ لا.

ـ برايان؟

مدت يدها فأمسكها ثم جذبها إلى ذراعيه وهو يسألها برقة:

ـ هل أنت سعيدة الآن يا كارين؟ أنت متزوجة الآن من رجل ثري جداً وهذا يعني أنك ما عدت بحاجة للتفكير بالسعي وراء القرش. وها أنت ترين كل شيء بما في ذلك وجه زوجك القبيح.

ـ أرجوك... أنا لا أفهمك.

ـ ألا تفهمين؟ اوه... لكنني أفهم يا كارين... أنت لصة كاذبة لذا ستدفعين الثمن بحسب شروطي... ستدفعين ثمن ألسي والشقة التي اشتريتها لكما. لي في ذمتك دين كبير عليك تسديده بدءاً من اليوم.

ـ أنا لم أكذب عمداً يا برايان. فالتجربة كانت على وشك الانتهاء لذا لم أستطع البوح لك بالحقيقة... وظننت أنك...

لم يدعها تتم قولها بل أسكتها بقبلة قاسية لم يحدث أن كان لها مثيلاً خلال علاقتهما. كاد يسحقها بعناقه ويحطم أضلاعها، أخذت تدفعه عنها دون جدوى وتقاومه بكل ما أوتيت من القوة، لكن الأمر انتهى بها إلى أن أصبحت طيعة بين ذراعيه وهما يسقطان ببطء إلى الأرض. كانت حركاته قاسية متوحشة. راحت تنظر إلى الكره المطل من هذا الوجه المشوه وهي تضع يديها حوله.

حملها إلى غرفته، فألقاها فوق السرير. التفتت لتنظر إليه فالتقت

عيناها بنظرته السوداء وهمست بينما ذراعاه تطبقان حولها مقربة جسدها إليه: «أرجوك» فضحك... وقال:

ـ أحب قليلاً من المقاومة يا كارين. قد يصيبني الضجر إن كنت زوجة رقيقة طيعة تفعلين ما يطلب منها.

أغلقت عينيها حتى لا ترى هذا الكره في عينيه. أمسكته وهي تأمل أن يعود كما كان لطيفاً محباً. لكنها في قرارة ذاتها كانت تعلم أنه لن يعود أبداً...

عندما استيقظت كانت وحدها، وعند طرف الغرفة ثوب زفافها مرمياً على الأرض حيث كانت البارحة. هي لا تصدق ما حدث معها. اجتاحت جسدها برودة مؤلمة وهي تفكر أنها تستحق الدفء والحب لا هذا الحزن والكره كله.

تذكرت ما قاله: «عليك أن تسددي دينك كله». لكن قد لا تحيا طويلاً لتسدده.

وأخرجت الجينز والقميص الأبيض من الخزانة. ارتدتهما وهي تحدق في الغرفة التي عرفت فيها أوقاتاً سعيدة... إنها أكبر من أية شقة سكنت فيها من قبل. بل هي أكبر من منزل برندا برمته. وسارت نحو الردهة المفروشة بسجاد له لون غرفة نومها نفسه. ثم استدارت نحو مدخل المطبخ. وسمعت برايان يقول:

ـ أنا هنا يا كارين.

استدارت لتراه جالساً وقهوته أمامه والإبريق الفضي إلى جانبه.

ـ صباح الخير.

سحب لها الكرسي لتجلس ثم انحنى ليقبل رأسها لكنها لم تشأ النظر إليه أو معانقته كما كان يتوقع.

جلس ليصب لها القهوة.

ـ اليوم حار جداً لارتداء الأكمام الطويلة.

ـ القميص رقيق.

لن يفهم أبداً كم تشعر بالبرودة. كان قد أجلسها إلى يمينه، لذا لم تر الندبة من حيث جلست. ولكنها كانت تعرف أنه لن يدعها تنساها أبداً. لا شك أن المرارة التي تعتمل في نفسه إنما هي بسبب هذا الجرح الذي لا يستطيع اخفاءه عنها. ما قامت به من خداع يبرره قصدها النبيل تجاه اولئك الأطفال المساكين. لكنه لا يرى في ذلك إلا إهانة شخصية.

ـ برايان؟

ـ نعم يا كارين.

ـ لا يجب أن نعيش هكذا أليس كذلك؟

ـ وكيف نعيش؟ نحن زوج وزوجته، وهكذا ستكون حياتنا ستحصلين على كل شيء بما في ذلك أنا.

ـ دعني أشرح لك.

لكنه لم يشأ الاصغاء إليها بل دفع الكرسي الذي يجلس عليه إلى الوراء ثم هبّ واقفاً وهو يقول ببرودة وقسوة:

ـ لا لزوم لتفسيرات أخرى يا كارين. الماضي قد مضى وسنبدأ حياتنا من هنا. لدي عمل، وسأعود للغداء.

أنهت فنجانها وهي تقول: يا له من شهر عسل.

خرجت إلى الباحة الخارجية، فاستقبلتها ألسي وبوتش... وجدت كوري رايد، البيطري، يعمل على رجل ثور «براهما» مكسورة. حيّاها ثم قال:

ـ أيعمل برايان في هذا اليوم؟

وعندما هزت رأسها إيجاباً قال:

ـ إنه مجنون.

وسارت معه، تستمع باهتمام لحديثه عن المزرعة، العمال والحيوانات وبرايان.

ـ نحن نعلم أن برايان يعمل أكثر مما يعمل الآخرون. مع أن لديه أناساً قادرين على القيام بعملهم بكفاءة... ولكن ألن يكون لكما شهر

عسل؟

وابتسمت. آملة أن لا يقرأ شيئاً وراء هذه الابتسامة:

ـ قال إننا سنسافر بعد انتهاء موسم الخريف... ما هذا؟

أشارت إلى أنابيب منتشرة فيها «حنفيات» في أماكن منتظمة، تلتف على طول وعرض المنزل الذي يأوي الحيوانات.

ـ هذا هو نظام الرش الآلي. نحن بعيدون جداً عن مراكز الاطفاء. وإذا حدث أي حريق هنا، فلن تتمكن سيارات الاطفاء من الوصول إلينا في الوقت المناسب لذا جهزنا المزرعة بنظام يعمل آلياً، عندما تبلغ الحرارة درجة معينة، ولهذا النظام مفتاح يدوي نستخدمه عندما يحدث شيئاً ما.

لم تعلم أنها تملك هذا الفضول لرؤية المزرعة عندما أتت في المرة الماضية. كانت الساعة قد بلغت الرابعة عندما انتهت من جولتها. أسرعت إلى المطبخ فسألت سالي عن موعد عشاء برايان فأجابتها أنه عندما يعمل يتناول طعامه عادة في السابعة. ذهبت إلى غرفتها لتجد فستاناً يناسب العروس الجديدة. لم تكن تريد أن تكون «شيئاً» يمتلكه لمتعته، بل تريده أن ينظر إليها ككارين.

فتح الباب، فنظرت لترى برايان أمامها حليق الذقن أنيق اللباس. سألها بنعومة:

ـ هل كنت تنتظرينني؟

بخطوة واحدة كان قربها جذبها إليه فعانقها بجوع وقسوة حتى كاد يسحق عظامها. سعت إلى تحرير نفسها وهي تكره ما تشعر به من الضياع عندما يعانقها.

همست برجاء:

ـ لا تؤذيني.

ـ اؤذيك؟ لكنك لا تهتمين بما تفعلينه لأذية الآخرين. أليس كذلك يا كارين؟

ـ أنا لم اؤذك عمداً يا برايان.

ـ أرغب في شرب شيء ما.

استدار فجأة نحو الباب ليخرج.

كان واقفاً عند النافذة عندما دخلت غرفة الجلوس. تناولت كوب العصير البارد الذي قدمه لها ثم وضعته فوق شفتيها وهو يراقبها دون أن تكون لديه النية في الحديث معها. سألته:

ـ إذا كنت ستعمل طوال الوقت، فماذا أستطيع أن أفعل لأساعدك ولأشغل نفسي.

ـ لن تفعلي شيئاً. أعلم أن المال أكثر ما يهمك في الحياة. وأنا قد فتحت لك حساباً كبيراً في مصرف سانتا فاي. فافعلي ما شئت شرط أن تكوني هنا عندما أحتاجك.

ـ وعندما تنتهي حاجتك إليّ؟

عندما ابتسم شدّ الجرح الشفة السفلى إلى فوق.

ـ ستعرفين ذلك في الوقت المناسب.

ـ لكنني أحبك يا برايان.

ـ لا تزعجي نفسك بهذا القول كلانا يعرف أين يقف فقومي بواجبك وسأقوم بواجبي. واعلمي أن لا شيء آخر مطلوب من أي منا.

نعومة كلماته أرسلت الرعدة في جسدها. لقد عاشت مأساة موت روبن وعماها المؤقت بصبر كما أمضت أمسيات عديدة دون طعام لكنها لم تتردد أو تندم يوماً على قرار اتخذته ولو أتى متسرعاً. أما الآن وهي تنظر إليه فقد رأت أنها كانت مخطئة عندما اعتقدت أن حبها له سيكفي. فالحب من طرف واحد يجعل كل شيء غير متوازن أو متساوي.

كان هذا اليوم نموذجاً لايامهما المتلاحقة، كانت تبقى وحيدة في معظم أوقاتها. تخرج في بعض الأحيان إلى «ثاوس» مرة في الأسبوع لزيارة جولي وليتا ولم يحدث أن سألها برايان يوماً عن ذهابها أو إيابها ولم يحدث أن أخبرته شيئاً عن تنقلاتها. وكانت والدته امرأة طيبة يسهل

أن يحبها الإنسان.

غادرت يوماً مبكرة من محل جولي لتتجه نحو الطريق العام. وقادت سيارتها على مهل في الطريق العريضة الخالية من السيارات. وما إن وصلت إلى الطريق العام حتى شاهدت لوحة تشير إلى اتجاه بلدة «اسبانولا» الجميلة الصغيرة التي تبعد عشرين ميلاً إلى الشمال من سانتا فاي، وكانت منطقة لم تشاهدها من قبل، وهي تحب الجبال التي يمكن رؤيتها من حولها. وهكذا قادت سيارتها نحو حدود المدينة.

ودون أن تدري لماذا استدارت يساراً نحو شارع متعرج في جزء قديم من البلدة حيث تعيش عائلات فقيرة لا تملك شيئاً من متاع الدنيا. شاهدت الأطفال يركضون في الشوارع يركبون الجياد الخشبية ويتصايحون. تابعت طريقها بعد أن اختفت المجموعة بين البيوت. واستدارت في منعطف يحده سياج لتصل إلى منطقة أكثر هدوءاً حيث تنتهي الطريق عندها فجأة...

كانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف عندما وصلت مفترق الطرق الذي يقود أحدها إلى سانتا فاي. ستتأخر أكثر من المعتاد عن الرجوع إلى المنزل ولكن برايان لن يفتقدها أقله ليس قبل موعد النوم.

وصلت إلى باحة المنزل وإذ بالباب يفتح ليطل منه برايان غاضباً:

ـ أين كنت (سألها).

كان خروجه قد صدمها قليلاً لكنها استطاعت أن تقول:

ـ كنت في «ثاوس» وقد قمت برؤية بعض الأماكن لذا تأخرت. سأكون جاهزة للعشاء خلال دقائق معدودة.

وانضمت إلى برايان بعد عشرين دقيقة. وكان يقف عند نافذة غرفة الجلوس ينظر إلى الظلام في الخارج. قال لها:

ـ تعالي إلى هنا.

ما إن وقفت إلى جانبه حتى انطفأت الأضواء، سرعان ما اعتادت

عيناها الظلمة لترى بعد ذلك تساقط الثلج الذي راح يغطي الأرض.

ـ أعتقد أن الطقس دافىء لتثلج. ألم يبكر الثلج في الهطول؟

ـ عيد الشكر قريب والثلج يتساقط عادة في مثل هذا الوقت. لا بد أن مديري منتجعات التزلج يحتفلون الآن.

كان قد مضى وقت منذ أن رأته يبتسم. أرادت في هذه اللحظة أن تلمسه لكنها تعلم ردة فعله التي ستأتي خشنة. ومع ذلك تريد أن تعانقه.

قالت له وهي تندس فيه أكثر:

ـ لو كثر هطول الثلج، فهل ستعمل غداً؟

التفت ذراعه حولها وحضنها مبتسماً:

ـ على الأرجح لا... ولكنك ستسليني أليس كذلك؟

راح الشوق القديم إليه ينمو داخلها. أرادت الابتعاد عنه. لكنه جذبها رافعاً وجهها إليه فكان إن رفعت جسده. عانقه. راح يعانقها بلطف ورقة ممسداً جسدها بيديه فاستجابت له بقوة و... لكن قرعاً خفيفاً على الباب جعلهما يبتعدان وإذ بصوت سالي:

ـ العشاء سيبرد يا برايان.

ـ سنحضر في الحالي يا سالي... هيا بنا كارين.

قال لها وهو يدفع الكرسي تحتها لتجلس على المائدة:

ـ أنت تتركين لشعرك العنان.

ـ كنت دائماً أتركه يسترسل إلى كتفي... لكنني قصصته لتسهل علي العناية به عندما كنت عمياء.

ـ سنقيم حفلة عيد الشكر هنا. وسندعو كل العاملين وعائلاتهم وجولي ولينا والقاضي كرينتون... هل تحبين دعوة برندا وأريك؟

ـ نعم طبعاً أحب ذلك. أشكرك يا برايان.

ـ لماذا تشكريني يا كارين، أنت سيدة هذا البيت، وهذا يعني أن من حقك دعوة من تريدين.

ـ لا أشعر أنني سيدة هذا البيت. بل عبدة لك.

صمت برايان، ثم قالت له وعيناها لا تفارقان طبقها:

ـ برايان... أريد أن أطلب منك شيئاً.

ـ أطلبيه.

ـ هل تتركني أزوج ألسي لبولدن؟

فضحك:

ـ سوف ينتجان نسلاً جميلاً لذا لا مانع لدي. كوري سيساعدك.

ـ هل ستسمح لي بتدريب جراء الكلاب لتكون عوناً للعميان من الأطفال؟

وأخذ يحدق فيها:

ـ ألا تطلبين الكثير يا كارين؟ أتعرفين كم ثمن جرو له هذا النسل.

ـ نعم أعرف ذلك. لكنه ليس أثمن من المساعدة التي سيقدمها لطفل صغير أعمى.

دفع الكرسي إلى الوراء:

ـ سأفكر في الأمر.

لم يعلُ الثلج أكثر من انش، فلم يكن ذلك سبباً لإيقاف العمل في المزرعة فقد خرج برايان ليعمل مع «آل كاردون» رئيس العمال وابنيه في الطرف الجنوبي من المزرعة لإصلاح السياج وملء المعالف بالتبن. أما كارين فقد أمضت يومها مع سالي تخططان لوجبة العيد وترتيباتها.

وانقلب الطقس بارداً ومزعجاً، ولكن كارين أحبته، واشتعلت النار في المدافىء في أرجاء المنزل. كانت كارين قد تركت كتاباً قربها وهي مستلقية أمام المدفأة في غرفة الجلوس.

ـ هل تحبين أن أقرأ لك؟

التفتت إليه وقد أجفلها صوته فرأت أنه لم يبدل ملابسه أو حذاءه.

هزت رأسها إيجاباً... فجلس قربها وهو يتكىء إلى كرسي كبير ثم التقط الكتاب وشرع في القراءة. عندما تهادى إليها صوته ادارت وجهها إلى النيران المتأججة. أغمضت عينيها ونبرات صوته العميقة تهددها.

www.elromancia.com

ـ كارين؟

أدارها نحوه رافعاً رأسها إلى ذراعه، ثم طفقت أصابعه تلمس خطوط وجهها، ثم أنفها نزولاً إلى كتفها لتنزلق أخيراً فتستقر على خصرها.

أحست بالنعاس والدفء، فابتسمت له، ثم اقتربت منه ففتحت أزرار قميصه ووضعت وجهها على صدره وهي تشعر بشعره الكثيف يدغدغ وجنتها. تقطعت أنفاسه وتهدّجت لكنه لم يتكلم بل أبقاها ملتصقة به إلى أن حل وقت ارتداء ثيابهما استعداداً للعشاء. وعندما قالت سالي:

ـ العشاء جاهز بعد عشرين دقيقة.

جذبها لتقف معه وقال لها «أراك عند العشاء» ودخل غرفة نومه ثم دخلت هي إلى غرفتها، وما زالت تشعر بدفء أحضانه.

●●●

٩ ـ دفء ذراعيه

صباح عيد الشكر والطقس بارد وصافٍ. كانت كارين قد نهضت باكراً وهي تشعر بالإثارة لتفكيرها بأنها سترى برندا التي قد تشك في أن زواجها مهزلة، لكنها قد لا تتبين شيئاً لأن برايان بارع في التمثيل حتى لن يشعر أحد بما يكنه في الواقع.

دخلت سيارة أريك إلى طريق المنزل الخاص عند الواحدة فقفزت كارين إلى الخارج لتقابلهما وسارعت برندا تخبر أختها:

ـ كارين... أنا حامل.

لمعت عيناها الزرقاوان لشقيقتها فجمدت كارين للحظات، ثم احتضنت برندا عدة مرات متسائلة عن قدرة أختها على حمل طفل آخر بعد المأساة التي مرت بها مع روبن. سألتها:

ـ هل أنت بخير؟... متى؟

ضحكت برندا:

ـ أجل أنا بخير... أتوقع أن ألد في حزيران.

أخذوا يتكلمون جميعاً وهم واقفون هناك إلى أن أطل برايان صائحاً:

ـ أدخليهم إلى هنا من البرد يا كارين.

صافح أريك، ثم عانق برندا. بعد ذلك وصلت سيارة أخرى فيها جولي ولينا ثم انضم إليهم القاضي كريتتون، وبعد قليل أصبح المنزل كله: الردهات وغرفة الطعام والشرفات المغلقة، وكأنه منزل مجانين يضج بالناس. ومرت ساعات طويلة قبل أن يعود المنزل إلى هدوئه. بعد

رحيل الزائرين ناول برايان كوب شاي لكارين:

ـ هل تمتعت بالحفلة؟

ـ أجل كانت رائعة، ولكنني أكلت كثيراً... برندا تتوقع طفلاً في حزيران.

ـ أجل... لقد أخبرني أريك... هل هما قلقان؟

ـ لا... لا أظن هذا، ما حدث لروبن كان خطأ لا يحدث إلا مرة في العمر.

ـ ماذا تعنين بالخطأ؟

ـ لقد كان أعمى بسبب شيء ما كان في عينيه منذ ولادته ولأن أحداً لم يعالجه كما يجب إذ كان يمكن أن يشفى لولا التشخيصات الخاطئة. طب العيون تقدَّم كثيراً في هذه الأيام وقد يساعد مال المكافأة التي سأكسبها في تعزيز هذه الدراسات.

ـ أية مكافأة؟

ـ لقد أُعطيت جريدة ايربي جائزة لإجراء بحوثات بعد أن كتبت سلسلة مقالات عن العمى.

ـ لم أقرأ شيئاً من هذا. يجب أن يكون لعمل كهذا دعاية واسعة.

ـ لم نرد الدعاية.

ـ من لم يرد دعاية؟

ـ أنا و... ايربي... بل كان همنا ينصب في الحملة الإعلانية على الأبحاث التي يقوم بها الدكتور كورك في عيادة ديربي شاير. لا أن يعتقدوا أننا كسبنا المال للأبحاث بطرق احتيالية في وقت كان كل همنا كسب بعض التمويل للأبحاث.

ـ فهمت.

«لا، لم تفهم... أنت لم تفهم شيئاً كغيرك من ملايين المبصرين» وهمت أن تقول له ذلك، لكنها شاهدت الغضب يتجمع في وجهه بعد أن تذكر خداعها له.

وقال مغيراً الموضوع فجأة:

ـ أنا وكوري ذاهبان إلى «كوبيك» يوم السبت لحضور مؤتمر الطب البيطري وهناك سأبحث عن معدات وربما عن بعض الحيوانات كما أنوي أن أقوم بشراء بعض الأغراض للميلاد... فماذا تحبين أن أشتري لك؟

نظرت إليه متمنية أن تكون لها الشجاعة لتقول له: لا أريد سوى حبك يا برايان ولكنها كانت تعرف ما سيكون رده. فسألته:

ـ هل يمكن أن أحصل على ما أريد؟

فابتسم:

ـ إذا كان ضمن المعقول.

ـ أريدك أن تذهب إلى جرّاح تجميل ليزيل لك الندبة.

تصلب ثم تلاشت الابتسامة عن وجهه وقد غدا صوته بارداً قائلاً:

ـ قلت لك ضمن المعقول يا كارين... هل سئمت من منظري؟

ـ لا يزعجني منظرك كما يزعجك أنت.

ـ لماذا تظنينه يزعجني؟

ـ أنت تكرهه وتجذب الانتباه له في وقت لا ألاحظه حتى.

ضحك ضحكة بشعة:

ـ أتقصدين أنك لا تغمضين عينيك تجنباً لرؤيتي كلما قبلتك؟

ـ أغمض عيناي اجتناباً لنظرة الكره التي أراها في وجهك. ما الذي يغذي هذا الكره كله يا برايان. ما الذي بدَّل ذاك الإنسان الذي كنت عليه إلى هذا الإنسان الذي أراه أمامي الآن لا تقل إنه خداعي. فما فعلته لم يكن إلا في سبيل هدف نبيل ربما غاليت لأحصل عليه لكنني لم أؤلم أحداً سوى ذاتي. دعني أخبرك كم...

ووقف على قدميه مسرعاً فوقع الكوب من يده لينسكب ما فيه من شراب وثلج على صدرها:

ـ لا تخبريني شيئاً يا كارين. فجلّ ما قد تقدمه المرأة الكذب والخداع والهرب.

مد يده إليها يحاول أن يحتضنها بغية معاقبتها لكنها وبحركة سريعة تحررت منه هاربة إلى غرفتها. والدموع تغسل وجهها والنحيب يهز جسدها.

كان برايان يتحرك بسرعة في غرفة نومه مرتدياً ثيابه عندما دخلت عليه كارين قائلة:

ـ برايان سأرحل.

رفع رأسه لينظر إليها مطولاً ثم عاد ليربط حذاء العمل الثقيل:

ـ لا لن ترحلي. فماذا يمكنك أن تعملي لتكسبي كل هذا المال المتوفر لك الآن؟

وقف واضعاً يديه في جيب سترته. فقالت له وهي تجلس على حافة السرير:

ـ لقد عملت دائماً لكسب قوتي ولن يضيرني العودة إلى العمل ثانية.

ابتسم:

ـ سأسعى لئلا تعودي إلى التدريس أو إلى الصحيفة. وكما تعلمين أنني بالمال قد أفعل ما أريد وقد أضعك على القائمة السوداء أينما شئت.

ـ ايربي سيعيدني إلى العمل مهما قلت أو فعلت.

ـ حتى الجرائد يمكن شراؤها، وأنا أعتقد أنك لا تريدين أن يخسر ايربي عمله بسبب استخدامه لك.

ما قاله أخذ يتبلور في ذهنها ببطء. حتى جعلها ترتعد.

ـ لا أصدقك يا برايان... كيف يمكنك أن تفعل شيئاً كهذا؟ أنا زوجة لا تريدها فلماذا تبقيني في منزلك؟

ـ أعتقد أن السبب قد غدا واضحاً.

ـ استطيع العودة للعمل عند عائلة ماكميلان، فبالراتب الذي يدفعونه لا يهمهم ماذا فعلت. فهم أهلي.

ـ سيكون هذا تدني واضح في مستواك.

ـ لقد دفعت تكاليف تعليمي وأنا أعمل عندهم.

طوحت بقدميها إلى الجهة الأخرى من السرير مبتعدة عنه ثم قالت:

ـ لن استطيع البقاء معك بعد الآن.

أرادت أن تخبره عن حبها لكن ما الجدوى واعترافها لن يخلصه من هذه المرارة.

ـ إن رحلت سأحجز مزرعة شقيقتك.

ـ ماذا تقول؟ (قالت دهشة)

ـ أخبرني أريك أنه يريد توسيع مزرعته وبناء غرف أخرى للمنزل بسبب المولود المنتظر وقد أدنته المال لقاء رهن المزرعة. فلو تركتني سأستولي على المزرعة.

جعلتها مرارة طعم الهزيمة تصمت... كان علي أن أتعود على هذا... تجمع الألم حول قلبها، يعصر الحياة منه بينما جمدت عيناها على الخاتمين في يدها. كانا جميلين وقد أحبتهما لأن برايان اختارهما لها. سألها:

ـ هل كل شيء على ما يرام يا كارين؟

فأجابته بصوت كئيب يخلو من الحياة.

ـ مهما يكن السبب الذي تريدني أن أكرهك لأجله فأعتقد أنه سينجح... وعندما يتم هذا التحول، سأكون أسعد مخلوقة في العالم.

فكان رده ضحكة.

في اليوم التالي سافر برايان وكوري إلى كندا كما كان مخططاً. تلك الليلة هطل الثلج بكثافة فوق الجبال. كانت خلال الأيام المتتالية تسير فوق الثلج أو تقود الفرسين «بونتي» و«السوداء» لتمرنهما. كان من المتوقع أن يعود برايان وكوري يوم الأربعاء، ولكن الوقت كان لا يزال مبكرا لعودتهما، لذا فوجئت عندما رأت سيارة الجيب «الشيروكي» التي ذهبا بها إلى المطار متوقفة أمام المنزل عندما عادت من الاسطبل.

فتح الباب وخرج كوري رايد من المنزل ونزل السلالم.

ـ مرحباً كارين. تبدين وكأنك ملكة الثلج الأصلية.

- أهلا بك يا كوري. . . كيف كانت الرحلة؟
- عظيمة. . . لقد وجدت لك السرج، الذي أظهر برايان إعجابه به وقد أرسلته إلى هنا باسمي.
- اوه شكراً لك يا كوري.

كانت قد طلبت منه شراء سرج ليكون هدية الميلاد لبرايان وذلك قبل أن يسافرا إلى كندا، لكنها نسيت الأجر وعليها الآن أن تدفع ثمنه من مالها الخاص لا من مال برايان الذي وضعه باسمها في المصرف. فجأة أحست بمن يمسك بها من الخلف فاستدارت لتجد نفسها بين ذراعي برايان.

- مرحباً يا كارين. أنت مبللة لذلك الأفضل لك أن تجففي شعرك قبل أن تلتقطي الرشح.

بعد دقائق، وجدته في غرفة الجلوس. واقفاً قرب المدفأة يراقبها وهي تلج الغرفة. فقال لها:

- جميلة. . . لقد اشتقت إليك.

أعطاها كأس العصير ثم رفع كأسه قائلاً:

- نخبنا، نخب الحاضر والمستقبل.

ارتشفت قليلاً من شرابها واستدارت لتجلس على مقعد صغير قرب النار. . .

- أين كنت في مثل هذا الطقس؟
- كنت امرّن بونتي والسوداء وأرمي الطعام للبط في البحيرة.
- وحدك.
- ألسي كانت معي.
- يسرني أنك قررت البقاء.

ارتفع رأسها فرأت النظرة الواثقة الساخرة تطل من عينيه.

- لقد قررت أنني لن أتحمل المزيد من أكل البيض فقط.
- أجل، فمن السهل التعود على أكل الكركند، ولمس الحرير،

والحساب غير المحدود في المصرف. إنها لك لقد كسبتها فمتعي نفسك بها.

هو لا يعلم أنها لم تلمسها قط ولن تلمسها أو تلمس أبدا ذينك المغلفين اللذين أعطاهما لها. إنهما في مكان ما من خزانتها التي رمتهما فيها لتسرع بعد ذلك إلى المغسلة لتغسل يدها من آثارهما.

- لقد فعلت ما طلبته مني بشأن هدية الميلاد. زرت طبيب العمليات التجميلية الذي صوّر وجهي بأشعة «أكس» وأجرى لي بعض الفحوصات ليرى ما إذا كان يمكن إصلاح التشوّه في وجهي.
- لماذا؟ ما الذي بدّل رأيك؟

هز كتفيه دون اكتراث:

- ربما لن يتمكن من مساعدتي، فلا تعلقي الآمال الجسام على ذلك.
- لماذا؟
- لقد تأملت وجهي في المرآة، فوجدت أنك وإن كنت استغلالية تبحثين عن المال فقط تستحقين أفضل من منظري هذا.

دنا منها ليركع أمامها ثم رفع ذقنها باصبعيه.

- يسرني ذهابك. متى ستزوره ثانية؟
- سأقصده غداً لآخذ نتيجة الفحص فإن كانت مطمئنة فسأعود إلى عيادته مساء الجمعة لإجراء العملية يوم السبت. . . وإن نجحت العملية تحصلين على هدية الميلاد التي طلبت.

التقطت أنفاسها لتسارع الأحداث:

- وكيف حصلت على موعد بهذه السرعة؟ أين يعمل؟
- لديه عيادة خاصة في سانتا فاي. والأجر الذي يتقاضاه يجعل أي مريض قادراً على زيارته متى شاء.

تناول الكأس من يدها ليضعها على المدفأة ثم عاد إليها ليضمها إليه وليجذبها إلى الأرض حيث اتخذ ذراعه وسادة لرأسها:

- برايان. . . (همست له)

امتدت أصابعها كالعادة إلى أزرار قميصه ثم راحت تلمس صدره كما كانت تفعل عندما كانت لا تراه. فتأوه للمستها. ورفع نفسه على ركبة واحدة. ثم جذبها وحملها بسهولة إلى غرفته وألقاها فوق السرير بلطف ورقة، ثم أخذ يتفحص جسدها بعينيه السوداوين. وكأنه يراها للمرة الأولى وضمها إليه بقوة لكن بلطف ورقة لا بقسوة كما كان يفعل في الآونة الأخيرة. كانت تشعر بخفقات قلبه القوية تعانق خفقات قلبها. ثم لم يلبث أن جاءت همسته دافئة في أذنها:

- أنا آسف لأنني كنت قاسياً معك يا كارين. ولم يكن يجب أن ألومك لأنك أردت الحصول على كل ما تريدينه.

وأجفلت، وقد كرهت اعتقاده بأنها مذنبة لأنها تزوجته لأجل المال:

- لا يا برايان. . .

وضاع احتجاجها فوق فمه. . .

لقد أشعرها بالحب الذي حلمت به كثيراً. فالطريقة التي احتضنها بها هذه الليلة جعلت أحلامها أمراً واقعياً. لقد تطلب تحقيق أحلامها ثلاثة أشهر كاملة. وها هي الآن تتحقق بأعذب الطرق وأحلاها. تلك الليلة نامت يلفها دفء ذراعيه.

●●●

١٠ - حريق القلب

كانت كارين تجلس في غرفة الانتظار على ركبتيها مجلة مفتوحة لم تستطع أن تقرأ منها شيئاً. فأعصابها ترتجف والانتظار قد طال. لقد أخبرها الدكتور هوبكنز جراح التجميل أن العملية ستقتضي أربع ساعات وها قد مضت ست ساعات وما من خبر. أيعقل أن شيئاً قد أصاب برايان الذي أخبرها أن العملية «قد لا تنجح»؟ أرعبتها فكرة أن يكون قد أصابه أي مكروه.

ما عادت قادرة على البقاء جالسة هكذا امتصفحة مقالات لا تعي ما هي لذا سارت نحو النافذة لتتأمل الثلج المتساقط منذ الليلة الماضية. ربما كان برايان على حق حين قال لها إن عليها البقاء في غرفة الفندق، التي حجزها لها، إلى أن يتصل بها الطبيب هوبكنز بعد انتهاء العملية لكنها لم تتصور أنها قادرة على البقاء هناك بعيدة عن برايان.

فُتح باب غرفة الانتظار ليطل منه الدكتور هوبكنز ووقفت حيث هي تحبس أنفاسها خائفة.

- إنه على ما يرام سيدة كالدويل. لقد كانت العملية معقدة أكثر مما توقعت لأن عضلات الخد كانت معطوبة فلو أجرى العملية قبل سنة أو سنتين لهان الأمر أكثر ولكنه سيكون بخير. هو الآن تحت تأثير البنج لكن يمكنك رؤيته لدقائق معدودة.

- اوه شكراً لك.

زفرت أنفاسها، ثم أسرعت تلحق به بساقين مرتجفتين إلى أن وقفت قرب السرير تنظر إلى برايان، رأت رباطاً رفيعاً طويلاً مثبتاً على خده

الأيسر وفمه كله مغطى إلا فتحة صغيرة من الجهة اليمنى حيث استطاعت أن ترى بعض الدم.

تأوه ومدد نفسه ثم تحركت أصابعه لتطبق على يدها. أما هي فانحنت فوقه لتمنعه من الكلام وقد رأت شفتيه تتحركان.

ـ لا يا برايان لا تتكلم، كن هادئاً.

حرك رأسه فوق الوسادة:

ـ حبيبتي.

خفق قلبها وهي تضع شفتيها على خده السليم، وقد أحبت نغمة صوته وهو يطلق هذه الكلمة التي لم يقلها قط. وامتدت يده إلى كتفها وهمس:

ـ يا حبيبة قلبي.

تأوه فانحنت لتهمس له بكلمات حب لا تنتهي. لكنه قاطعها بصوت أجش:

ـ لودي... لودي... لا.

لوى رأسه بعيداً فتركته وهي تحدق إليه وقد جف الدم في عروقها. تاركاً فراغاً مؤلماً في صدرها.

بعد لحظة، جرّت نفسها مترنحة إلى الخارج ثم إلى غرفة الانتظار الصغيرة. وجلست متقوقعة على نفسها في المقعد الذي أمضت يومها فيه. وأخيراً أدركت أن لودي زوجته السابقة، كانت سبب كرهه للحب، وسبب إصراره على أن الزواج الناجح لا يحتاج إلى الحب: إنه باق على حبها رغم إنكاره. فمنذ أن تركته وهو يشعر أنه ليس بحاجة لحب أية امرأة أخرى. فها هو يناديها بعد سنتين من الطلاق... لقد قال: الحب فخ يقعد الضحية، ويتركه عرضة للهجر... ولقد كان الضحية ولودي هجرته. إنه على حق. أحست بألم يرسل إلى قلبها شللاً وضياعاً. لقد استخدم كارين لينتقم من معاملة لودي له، ومع أنه يكرهها، فهو ما زال يحب المرأة التي كانت زوجته الأولى، وما زال يحلم بها ويدعو باسمها.

كانت ما تزال حيث هي جامدة عندما وصلت جولي التي نادتها:

ـ كارين.

رمت كارين نفسها إلى ذراعي هذه المرأة عليهما تكونا ملاذها الذي يبعد عنها هذا الألم العميق.

ـ ماذا حدث؟ يبدو شكلك رهيباً.

سحبت كارين المرأة المسنة نحو كرسي.

ـ لا... لا شيء. لقد كانت العملية أكثر تعقيداً مما توقع الدكتور هوبكنز لكنه قال إنها قد نجحت. وكل ما في الأمر أنني تعبة من الجلوس والانتظار.

ـ هل رأيته؟

ـ نعم لدقائق معدودة. ما زال تحت تأثير البنج.

أخذت نفساً عميقاً لتهدىء الارتجاف في جسدها ثم ابتسمت:

ـ هل الطريق من ناوس رديئة؟

ـ ليست رديئة جداً، ولكنني أتيت مع القاضي كرينتون. فعليه الذهاب إلى المحكمة... هل تناولت الطعام؟

ـ لست جائعة.

ـ سأذهب لرؤية برايان... ثم سنتناول شيئاً ما.

ما إن ذهبت جولي حتى دخلت كارين إلى الحمام لترش الماء البارد على وجهها ولتجففه بعد ذلك. ولما رأت وجهها شاحباً إلى هذه الدرجة أخذت تقرص خديها لتعيد إليهما اللون. ثم لم تلبث أن شمخت برأسها وهي تقول لنفسها: ليس هذا نهاية العالم فأنا على كل حال لا أنتمي إلى عالم برايان.

كانت تقف قرب النافذة عندما عادت جولي:

ـ إنه نصف نائم ويقول الدكتور هوبكنز إنه لن يتقبل الزوار قبل الغد... ثمة مقهى صغير لا يبعد عن هنا كثيراً.

- معي سيارة الجيب «الشيروكي» نذهب بها إلى مطعم النزل حيث نتناول طعامنا. ثم نستريح في غرفتي قبل العودة إلى هنا.

بعد عودتهما من تناول الطعام قالت لها جولي:

- لما لا تتناولين العشاء معنا عندما يأتي القاضي كرينتون ليأخذني.

- لا شكراً لك يا جولي. أفضل البقاء في العيادة قليلاً.

- هل تريديني أن أبقى معك طوال الليل؟

ضحكت كارين:

- قد أبدو لك طفلة صغيرة لكنني في الواقع بخير. اذهبي إلى بيتك ما دام معك من يرافقك. فهذه الغيوم تنذر بالشر والطقس لا يبشر بالخير.

حاولت جولي طمأنتها.

- سيكون بخير يا كارين...

- نعم، اؤمن بذلك. أنا على أحر من الجمر لرؤية وجهه. أكان وسيماً؟

- قد تقولين إنني أنحاز لولدي... نعم كان رجلاً وسيماً جداً.

- ولودي؟

أخذت جولي نفساً عميقاً وهي تنظر مباشرة إليها:

- لودي كانت أجمل مما تستحق. شعر أسود، بشرة سمراء، عينان بنيتان كبيرتان ورموش طويلة بشكل لا يصدق. وجسد كأن فينوس صممته بنفسها.

- أكان برايان يحبها كثيراً؟

- أجل... لكن هذا كان منذ سنوات مضت يا كارين، فهو لم يشاهدها منذ الطلاق. وهو مخلص لك بالتأكيد.

أرادت كارين أن تقول لها: أجل، إنه مخلص لدرجة أنه يجعلني أدفع ثمن ارضاء رغبته في لودي... لكنها سألتها بهدوء:

- وأين هي الآن؟

- إنها نجمة أوبرا تعيش في سان لويس... لقد التقاها برايان عندما كانت مبتدئة في أوبرا سانتا فاي. وبقيت هنا مدة زواجهما كلها... إنها موهوبة جداً.

عند السادسة والنصف عادتا إلى العيادة لتجدا أن الدكتور هوبكنز ما يزال هناك فقال لها:

- تستطيعين رؤيته لقد استيقظ ويريد رؤيتك.

كان قد أزيل معظم الرباط عن فكه كما مُسح الدم عن فمه. فتح عينه اليمنى ليقول:

- كارين؟ كيف تحملت الظلام سنة كاملة. يكاد هذا الرباط يدفعني إلى الجنون.

امتدت يده إلى الرباط الصغير فوق عينه. لكنها أمسكت يده:

- لا تكن لجوجاً. يقول الطبيب إنك ستعود وسيماً بعد وقت قصير.

أمسكت يده ثم أردفت:

- جولي في الخارج تريد رؤيتك قبل أن يأتي القاضي كرينتون ليرافقها إلى البيت وسأعود بعد أن تذهب، لكن لا تكثر من الكلام لئلا تفسد القطب.

وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة عندما عادت إلى غرفتها في النزل، وقد بقيت فترة طويلة مستيقظة قبل أن يستسلم جسدها وتفكيرها للنوم...

أيقظها رنين الهاتف:

- صباح الخير يا كارين...

بدا برايان من خلال صوته يقظاً تماماً.

- برايان؟ كم الساعة الآن؟

- السابعة والنصف... هل أيقظتك؟

- أجل... كيف حالك؟

- أحس وكأن أسداً قد قضم وجهي أما عيني فتحيطها كدمة سوداء.

ـ ماذا قال الطبيب؟

ـ هو مسرور بالنتيجة. لكنني أنتظر الحكم.

ـ إلى متى؟

ـ إلى أن تعطيني رأيك (قال ذلك وقد تغير صوته)

ـ هل أستطيع رؤيتك الآن؟

استندت قبضة يدها على سماعة الهاتف. فراحت تتساءل كيف ستستطيع مواجهته بعد أن عرفت سبب بقائها معه. إنها ليست بالنسبة له أكثر من كبش محرقة يحتاجه ليحمي نفسه من حبه لتلك المرأة.

ـ أجل... قد استطيع الخروج في وقت متأخر من بعد الظهر.

ـ سأكون معك في أسرع وقت.

وعادت إلى الاستلقاء فوق الوسادة، مذعورة من فكرة بقائها في المزرعة وكأنها لم تعرف شيئاً: ألا يزال يحلم بها؟ هل يدّعي أنني لودي عندما أكون معه؟ هل يعود إليها لو قبلت به؟

عندما وصلت كان برايان يجلس في فراشه شاحب الوجه بعد أن أزيل الرباط عن عينه اليسرى... قبلت رأسه فقال لها:

ـ هذا فقط؟

ـ أخاف أن ألمسك.

انحنت لتقبل زاوية فمه. فضحك:

ـ هذا أفضل.

ضحكت وهي تأمل ألا يلاحظ أنها لا تعدو أن تكون ضحكة جوفاء.

ـ تبدو كولد مدلل. ألم تمرض قبل الآن؟

ـ لا أريد أن أتلقى درساً في الصبر.

دق الباب، ثم دخل الدكتور هوبكنز:

ـ لنلقِ نظرة أخرى يا برايان. أريدك أن تبقى هنا الليلة يا برايان... أعلم أنني قلت لك إنك تستطيع المغادرة اليوم ولكن بعد الصعوبة التي وجدتها مع ذلك الوتر في خدك، أفضل أن تبقى ليلة أخرى. فالطقس

رديء جداً... أنت تعلم أن هذه العملية لن تعيد وجهك إلى ما كان عليه. لكن الندبة الصغيرة سوف تختفي في حنايا وجهك.

استدارت عينا برايان إلى كارين لكنها تجاهلته وسارعت إلى السؤال:

ـ كم عمق الندبة التي ستبقى في خده بعد الشفاء؟

ـ لن تختفي الندبة كلياً من الوجه أما الفم فسيعود كما كان. سنعمد إلى علاج الوجه بالأشعة لإزالة الجلد الميت ولتنعيم الجلد الجديد الذي سيحل مكان جزء كبير من الندبة. ستكون هذه الجلسات أسبوعية وأنا أعتقد أن برايان سيتماثل إلى الشفاء سريعاً لأن طبيعة بشرته تستجيب للعلاج بسرعة. أما الندبة القريبة من العين فستزول نهائياً لكني أحذرك يا برايان من الخروج في البرد أو القيام بأي مجهود جسدي إلى أن أسمح لك بذلك. إن أردت الخروج فترة قصيرة فعليك تغطية وجهك.

وعاد برايان للاستلقاء على الوسادة بعد أن خرج الطبيب ثم قال بعد فترة:

ـ الطبيب على حق يا كارين عودي إلى الفندق قبل أن تُغلق الثلوج الطرقات.

في الصباح التالي نظرت من النافذة فرأت أن الثلج ما زال يهطل وهذا يعني أنهما لن يعودا إلى المزرعة اليوم.

أرادت النزول إلى المطعم لتشرب فنجاناً من القهوة لكنها رفضت أن تترك غرفتها قبل أن يتصل برايان بها. في السابعة رن جرس الهاتف وإذ بصوت برايان يقول:

ـ صباح الخير يا كارين. يبدو أننا سنبقى اليوم أيضاً في هذه البلدة لكني استطيع الانتقال إلى النزل إن شئت.

ـ كيف حال وجهك؟

ـ مشدود ومتورم أما عيناي فحمراوان.

- سأحضر لأقلك.
- ألا تخافين القيادة في مثل هذا الطقس؟
- إذا استطعتُ إخراج السيارة من الموقف... فقد أصل بأمان.
- لست واثقاً من أن هذه فكرة جيدة. ولكنني مستعد للخروج.
- انتظرني إذاً.

أمضت ربع ساعة قبل أن تستطيع إخراج السيارة من بين السيارات المتراصة في الموقف.

كان برايان ينتظرها بفارغ الصبر في العيادة. خرجا معاً وقد لفّ شالاً صوفياً حول رأسه ليغطي وجهه، عندما صعدا إلى السيارة قال لها:

- هل أنت بخير؟ لقد أخذت بعض الأدوية هذا الصباح لذا من الأفضل ألا أقود.
- أتشعر بالألم؟
- لا إطلاقاً. وصف لي الطبيب هذه الأدوية درءا لخطر الالتهابات.

كانت رحلة العودة إلى النزل أسهل بكثير من رحلة الذهاب. عندما وصلا سألها:

- هل تناولت طعامك؟

هزت رأسها نفياً.

- هيا بنا إذاً. أنا بحاجة إلى فنجان قهوة.

بعد أن جلسا في المطعم راحت تنظر إلى وجهه وقد بدا على خدّه خط أحمر عريض. بينما عينه اليسرى قد غدت كالیمنى ليس فيها سوى بعض القطب كذلك الأمر بالنسبة للجهة اليسرى من الفم التي أطبقت على الشفة السفلى ولم تعد كما كانت مشدودة إلى فوق.

ابتسم لها وقد رآها تحدق فيه على هذا النحو.

- اوه يا برايان (قالت ذلك ثم استمرت بالتحديق فيه)
- هل أعجبتك هديتك الباهظة الثمن يا كارين؟

- ألا أستحقها؟
- أعتقد أن نعم.
- أشكرك على هذه الهدية.

ركزت بصرها على لائحة الطعام بين يديها لئلا تنظر إليه ثانية وهذه السخرية على وجهه.

- ماذا قال تقرير الطقس عن العاصفة؟
- سيزداد ارتفاع الثلج إذا استمر الطقس على حاله.
- أريد الذهاب إلى ثاوس قبل أن يزداد الطقس سوءاً. فهلا جربنا حظنا في الوصول إليها؟
- هل تعتقد حقاً أننا يجب أن نفعل؟
- لقد قدت السيارة في ظروف أسوأ من هذه. يجب أن أوصل بعض العلف إلى المراعي الجنوبية غداً.
- سيهتم كوري والعمال بالأمر.

أحس بالألم لما ضحك:

- أعلم هذا، لكنني كنت أريد ذريعة للذهاب. أنا في شوق إلى دفء البيت.

كانا ينتظران فاتورة الحساب وبرايان يقف ليرتدي معطفه عندما سمعا صوتاً يحييهما:

- مرحباً برايان.

نظرت إليه كارين فرأته يجفل وقد غادر اللون وجهه عندما التفت إلى المرأة التي تكلمت. كانت أجمل امرأة شاهدتها كارين. وسرعان ما عرفت كارين دون أن يخبرها أحد بأن هذه المرأة ليست سوى لودي.

- مرحباً لودي. هذه زوجتي كارين.

قالت كارين بهدوء:

- مرحباً لودي.

نظرت إليها لودي بسرعة ثم أعادت نظرها إلى برايان:

www.elromancia.com

ـ تبدو مختلفاً يا برايان.

قال بصوت بارد بعد أن تمالك نفسه وعادت إليه رباطة جأشه:

ـ حقاً. يدهشني أنك ما زلت تذكرين وجهي.

دس ذراعه بذراع كارين ثم استدار قائلاً:

ـ أرجو أن لا تعلقي طويلاً في سانتا فاي.

جذب كارين معه وهو يسير خارجاً من غرفة الطعام. أحست بالغضب الهادىء داخله وهما يسيران عبر الردهة إلى غرفتهما.

وضبا الثياب بصمت ثم حمل الحقيبة إلى السيارة. أغلقت الباب ثم خرجت لتساعده في تنظيف الثلج عن نوافذ السيارة. لكن الثلج كان يتجمع ثانية بنفس السرعة التي كان يزيلانه. وساعدها في الصعود إلى مقعدها ثم استدار إلى المقود فقالت:

ـ هل تشعر برغبة في القيادة في هذا الطقس؟

ـ أجل ستصبح السيارة دافئة بعد لحظات.

راحت تراقبه وهو يقودها بينما العرق يبلل وجهه. كادت السيارة تنحرف لو لم يسارع إلى السيطرة عليها. ولما أصبح البيت على مرمى البصر رأت الارتياح قد علا وجهه.

حضرت سالي لهما القهوة ثم أوصلتها لهما إلى غرفة الجلوس.

ـ أنت وسيم يا برايان... وأنا سعيدة جداً (قالت سالي)

ابتسم وهو يأخذ طبق البسكويت الذي قدمته له:

ـ شكراً لك.

قالت له كارين:

ـ تبدو تعباً.

ـ أنا مرهق وأنت؟

ـ أرهقتك القيادة أما أنا فكنت مستريحة أضف إلى ذلك أنك ما زلت ضعيفاً إثر العملية.

كان عليها أن تقول شيئاً قبل أن يخنقها هذا الشيء:

ـ لودي جميلة جداً.

ـ أجل... إنها جميلة.

كان صوته بارداً وقاسياً كالصخر.

استدار نحو النافذة، ولكنها علمت أنه قد فهم أبعد مما قصدت.

وعندما عاد باتجاهها بدا وكأنهما لم يذكرا اسم لودي إطلاقاً.

ـ أعتقد أن الخير في أن آوي إلى الفراش باكراً مباشرة بعد العشاء.

تلك الليلة نامت وحدها وهذا نادراً ما يحدث.

أمضت أيامها في لف الهدايا أو في السير مع السي والفرس «السوداء» حيث كان ينضم إليها الكلب بولدن الذي كان يتبع السي كظلها. أما برايان فلم تكن تعرف كيف يقضي أوقاته فهو منذ مجيئه لم يغازلها أو يلامسها حتى ظنت أنه قد يحلها من زواجها في وقت قريب ما إن يتماثل وجهه إلى الشفاء. كان الجرح قد أخذ بالتلاشي وهو في طور الشفاء التام. وهذا يعني أنه سيعود وسيماً كما كان وسيحاول استعادة لودي.

قال لها يوم الأحد عند الفطور:

ـ سأزور الطبيب ليزيل بقايا الجرح. وأنا أعتقد أنها ستكون المرة الأخيرة التي أقصده فيها. قد لا أعود باكراً.

ـ سأقلك إلى البلدة بنفسي.

ـ لا. شكراً. لا حاجة لبقائك طوال النهار منتظرة.

ـ قد تكون تعباً عند العودة.

ـ سأتدبر أمري.

بهذه الطريقة أسكتها وهي تشعر بالإحباط سارت نحو النافذة فرأته يخرج سيارة «الكرايزلر» من الكراج، فتعجبت لماذا لم يستخدم «الشيروكي» التي يفضلها عادة. أم لعله سيقابل لودي بهذه السيارة الفخمة. تركت هذه الفكرة في قلبها حملاً كبيراً.

خرجت تفتش عن سالي:

- سأذهب إلى «ثاوس» بما أن برايان سيغيب طوال النهار. سآخذ ألسي معي وسأعود إلى المنزل حوالي الخامسة.

ارتدت ثياباً تناسب الطقس البارد ثم لفت مشلحاً حول رقبتها ثم أخذت دفتر الشيكات ووضعته في حقيبة يدها، وحملت سترتها بيدها ثم خرجت من الباب الخلفي.

كان ذهنها مركزاً على كل شيء ما عدا الطريق وهي تتجه نحو البلدة، باتجاه مصرف «سانتا فاي» وهناك أجرت تحويلاً لحسابها من الباكويرك إلى هنا، ثم تحققت من حسابها وحررت شيكين، أحدهما بألف ومئتي دولار لكوري ثمن هدية برايان والآخر بخمسماية دولار دستها في جيبها.

في طريق عودتها، كانت تقود سيارتها بشكل آلي وهي تفكر بشقيقتها وزوجها.

توقفت في باحة المنزل. ثم أدخلت السيارة إلى الكراج منطلقة إلى بوابة المطبخ.

- لقد عدت يا سالي.

ابتسمت سالي:

- اتصل برايان وقال إنه سيعود عند السادسة والنصف. هل أمضيت يوماً طيباً؟

- طبعاً لكنني تعبة. الأفضل أن أتحرك لأكون جاهزة وقت العشاء عندما يعود برايان.

وساعدها حمام ساخن في إراحة جسدها المتعب. كانت ترتدي روباً صوفياً دافئاً عندما فتح باب غرفتها ودخل برايان.

تحولت عيناها إلى خده المغطى بمرهم أحمر فاتح يمتد من عينه إلى ذقنه. كان يحمل بين يديه هدية قدمها لها.

- أرسلت لك جولي التي زرتها اليوم هذه الهدية.

ومدت يدها لتأخذ العلبة.

ـ ماذا قال الطبيب عن نتيجة العلاج؟

ـ لا شيء... بدا لي راضياً بالنتيجة. لكنه ليطمأن أكثر سيراقبني بضع أسابيع ليعلم إن كنت بحاجة إلى عملية لبعض أجزاء الجرح.

بقيت الهدية في يده إلى أن قال لها:

ـ افتحيها يا كارين.

استدارت لتضع العلبة على السرير ثم دست اصبعها تحت الرباط لتفتحه. أزاحت الأوراق الزرقاء لترى ثوباً أزرق هو عبارة عن بيجاما من الحرير. كم رغبت في دفن وجهها في حنايا هذا القماش الحريري لتغرق في بكاء لا ينتهي. وقال لها:

ـ لجولي ذوق رائع. ارتديها الليلة.

سمعته يخرج ثم يقفل الباب وراءه.

حضر برايان شراباً بارداً لكارين. ووقف يحدق في النار تعباً مشدود الفم من التوتر. لقد حرّك مرأى لودي إثر العملية كل عوامل الحقد التي كانت تعتمل في نفسه منذ الحادثة المشؤومة. يومها تركته وحيداً في الجحيم. كم ألمه في ذلك الوقت نظرات الناس الذين كانوا يرمقونه باشمئزاز كلما أدار وجهه نحو الضوء كما لا ينسى ردة فعل الذين كانوا يعرفونه وشهقاتهم.

راح يفكر بردة فعل كارين يوم التقت لودي. كان هذا اللقاء متوقعاً ومع ذلك فقد بدت منذ ذلك الحين هادئة منطوية على ذاتها، تاركة إياه وشأنه بعد العملية. لكنه كان يلاحظ جيداً أنها تنظر إليه بترقب ولا يدري لماذا...

كان قد نسي لقاءه الأول الذي أتى صدفة في النزل أما اليوم فقد تفاجأ أكثر عندما رأى لودي أمامه وهو يغادر عيادة الطبيب. كانت قد اقتربت منه رافعة رأسها إليه ليقبلها:

ـ مرحباً برايان!

لكنه تراجع إلى الخلف، فشاهد اللون الأحمر يتصاعد إلى وجهها

وكان أكبر مكافأة له لكنها مع ذلك ضحكت وهي تعض على شفتها:

ـ اه... لقد نسيت... أنت متزوج... أين هي زوجتك... كارين أليس كذلك؟

ـ كارين في البيت.

ـ برايان... وجهك يتماثل للشفاء بسرعة وستعود إلى وسامتك القديمة قريباً. أنا آسفة لأنني كنت جبانة. كان يجب أن أتحلى بالشجاعة ولكنني لم أستطع التفكير بعذابك. وكل هذا بسببي...

ـ كارين تستحق النظر إلى شيء جميل، فهي لم تهرب مني عندما رأتني أول مرة.

فتح الباب المزدوج للبناء وخرج إلى الباحة التي أوقف فيها سيارته الكرايزلر الزرقاء.

التفت إليها قائلاً:

ـ وداعاً يا لودي.

ـ هل يمكن أن نتناول شراباً ما؟

هز رأسه رافضاً، ثم أسرع إلى سيارته متجاهلاً وجودها. انطلق بسيارته دون أن يحاول النظر إلى الخلف. بدت له طريق العودة إلى المنزل وكأنها لن تنتهي. ولما رأى أن الساعة قد قاربت على السادسة زفر أنفاسه فارغ الصبر.

هز رأسه وهو يقف قرب النار منتظراً كارين. وتذكر كم كانت صغيرة وبريئة وعاجزة يوم زارت «مرتفعات كالدويل» للمرة الأولى. لكنها كانت مستقلة حتى وهي عمياء.

إلى أن قلبت كارين الطاولات في وجهه: فإذا بها لا ترى فقط بل تطالبه بأن يبادلها حبها. أما ماله فلا يعني لها إلا شيئاً واحداً يساعدها في تحقيق هدفها. تريد أن تلد ألسي جراء لتدربها على مساعدة الأطفال العميان. هذا ما يهمها في الحياة المال لمساعدة العميان.

دخلت كارين إلى غرفة الجلوس ونظرات برايان تراقبها. ارتدّت

الروح إلى جسده لمرأى جسدها الغض النحيل وذقنها الرفيع الذي يدفع رأسها عالياً متحدية زوجها الرافض أن يتواضع قليلاً.

لم يكن قد لمسها منذ يوم العملية وكانت غرائزه تعي ذلك تماماً. الألم في وجهه لم يكن شديداً. ولكن الإرهاق الجسدي، أدهشه، حتى اعترف بينه وبين نفسه أن هذا الإرهاق قد أثر عليه عاطفياً. أدار «الخلاط» ليمزج لها العصير كما تحبه. وضع في الكأس قطعة ثلج. لما مدّ يده إليها ليعطيها الكأس تلامست أصابعهما.

الإثارة التي ولّدتها هذه اللمسة لم يتوقعها. لكنه الآن ما عاد بقادر على السيطرة على عاطفته التي ظهرت جلية في صوته وهو يناديها:

ـ كارين.

حدق في عينيها الخضراوين اللتين امتلأتا بالدموع ثم لم يلبث أن أخذ من يدها الكأس ليضعها على رف المدفأة ليعود بعد ذلك ليرفع إليه وجهها أما هي فوقفت على أطراف أصابعها لتستقبل قبلته. لكن رائحة المطهرات التي عبقت من وجهه جعلتها تجفل مترددة. فما كان منه إلا أن دفعها بعيداً وهو يقول:

ـ الرائحة مزعجة أليس كذلك؟

ـ لا، خفت أن أؤلمك.

ولكنه تحرك باتجاه الباب متجاهلاً توسلاتها... نظرت إلى جسده المتناسق وهو يسير مبتعداً، ثم هزت كتفيها دلالة العجز، ولحقت به إلى غرفة الطعام.

●●●

١١ ـ خطوط من نار

وقفت كارين بعد ظهر اليوم التالي أمام البحيرة تراقب البط السابح فيها. كانت الغيوم تتلبد فوق رؤوس الجبال والريح تهب من الجنوب باردة رطبة منذرة بميلاد أبيض سيحل بعد يومين.

انتقلت أفكارها إلى برايان ذي الوجه الذي غدا وسيماً لكنه مع ذلك بقي منطوياً على ذاته. ولولا حبها العميق له لعاملته كما يعاملها بإهمال وانطواء. اعتقدت أن حبها سيبقي هذا الزواج حياً. لكنها علمت علم اليقين أنه لن يلبث أن يتخلى عنها. ولعل ذلك يكون نجاة لها من هذا الجحيم.

لم تلمس إلى الآن الأثر الأخير من الجرح عند زاوية فمه كما لم تلمس الأثر الذي تركته معالجة الجلد. لم يكن قد ذكر لودي قط، لكنه قد طبع اسمها بحروف سوداء أصبحت بينهما فاصلاً لا يمكن قطعه.

لقد التأم جرحه تماماً وهو يحلق لحيته كل يوم مستخدماً بعد الحلاقة العطر الذي تفضله.

تابعت مع ألسي قطع آخر خطوات إلى المنزل. لما وصلت إلى الشرفة المسقوفة رمت سترتها ثم خلعت حذاءها لتركض بعد ذلك باتجاه غرفة جلوس برايان التي كان بابها مشقوقاً. ودون أن تقرع الباب دخلت وهي تمشي فوق السجاد السميك. فتحت فمها لتناديه لكنها توقفت وقد جمدت فيها كل ذرة من الحياة بعد أن رأت أمامها هذا المنظر الذي سيبقى محفوراً بخطوط من نار في مخيلتها: برايان يحني رأسه فوق رأس لودي الأسود معانقاً وقد غاب عنهما ما يدور حولهما.

فكرت: لم يقبلني منذ العملية... وها هي الآن تفهم سبب رفضه معانقتها البارحة، إن شكّت في رغبة لودي في العودة إليه الآن فما تراه الآن ينفي أي شك ويعطيها الإجابة.

تركت الباب كما وجدته مفتوحاً، وعادت إلى حيث أتت من الشرفة المسقوفة. انتعلت حذاءها ثم ركضت مسرعة نحو الاسطبل فالطقس لم يعد بارداً بل كل الحياة لم تعد كما كانت.

شمس العصر الضعيفة التي قاومت بشق النفس لتبقى طوال النهار. اختفت ليعم الظلام الجزئي الاسطبل. تعجبت من هذا النور الذي تراءى لها فكيف تسللت الشمس من بين الغيوم السوداء لتصل بشعاعها إلى الاسطبل. لكنها في الوقت نفسه سمعت نباحاً خفيفاً يخرج من حنجرة ألسي. أعادت النظر من جديد إلى الضوء الذي ارتفع فوق الجدار وقد تصلب جسدها لما رأت.

ـ النار! يا إلهي..!

ركضت نحو الباب، فلمست الخشب بيدها فإذا به ساخناً. ابتعدت متنفضة وراح عقلها يفكر بدروس مكافحة النار التي تلقتها في المدرسة... جدي مخرجاً... ومطافىء النار... دون ذعر. ولا تفتحي الأبواب التي تبدو ساخنة. ماذا قال لها كوري؟ ليس هناك أسوأ من الحريق بوجود الحيوانات... «السوداء»... في أي غرفة هي؟ لماذا لم يعمل نظام الإطفاء الآلي؟ لقد قال كوري إن المفتاح اليدوي للنظام موجود خارج البناء. ولكن في أية جهة من المكان الموجودة فيه الآن؟

أخذ عقلها يعمل بسرعة، والتفتت إلى الكلبة:

ـ السي اذهبي فوراً إلى برايان وأحضريه إلى هنا. أو إلى كوري. أسرعي في طلب النجدة.

انطلقت ألسي كالسهم باتجاه المنزل.

تصاعد الدّخان من حولها وهي تدور في المكان باحثة عن مكان وجود السوداء ولما وجدتها أسرعت إليها لتفتح لها الباب.

ـ تعالي... أنا بحاجة لك.

رمت حذاءها من قدميها ثم وضعت قدمها على ساق الفرس، وألقت بنفسها على ظهرها ثم أحنت رأسها، وهي تمسك شعر عنق الفرس التي صهلت عالياً عندما أحست بيدي كارين. راحت الفرس تسير متبعة إرشادات الراكبة. كانت النار محصورة في حظيرة واحدة، سمعت أصوات الحيوانات المذعورة في أمكنة أخرى من الاسطبل. فجأة اندفعت ألسنة النار لتبرز أمامها، فتراجعت السوداء مذعورة حتى اصطدم جنبها وساق كارين بالجدار مسبباً لكارين ألماً كبيراً ومع ذلك ظلت ممسكة بالفرس المذعورة وراحت ترشدها إلى أن أصبحت خارجاً. لكن الظلام كان قد أسدل ستاره على الكون لذا أخذت تلمس الجدار لمساً إلى أن وجدت المفتاح الذي شرح لها كوري كيف يشغل جهاز الاطفاء.

ـ اهدأي يا سوداء اهدأي.

كانت الفرس تتنفس بصعوبة وجسدها الضخم يرتجف ولكنها بطريقة ما، فهمت أن كارين تعتمد عليها.

بعد أن قامت بما تريد قالت للفرس وهي تضربها:

ـ هيا يا فتاة اخرجي من هنا.

انطلقت الفرس تعدو على غير هدى...

أما كارين فراحت تحاول تشغيل النظام:

ـ اعمل... أيها النظام اللعين...

شدت بكل ثقلها على الصنبور فبدأ يتحرك وتمسكت كارين به إلى أن أصبح في وضع عامودي إلى الأسفل وقد اندفعت المياه عبر الصنابير المفتوحة...

تنفست عميقاً فإذا بالدخان يدخل إلى رئتيها فيجعلها تسعل بقوة وإذا بها تشعر بدوار يكاد يوقعها أرضاً. جاهدت نفسها لتبقي على الصنابير بينما هي تشعر بضعف شديد في ساقيها وساعديها.

بعد لحظة تنشقت بعض الهواء، ثم وقفت تترنح من الدخان

والحرارة، قاصدة المزالج التي سارعت إلى فتحها فاندفعت بعد ذلك الحيوانات إلى الخارج راكضة لكنها في هذا الوقت شمت رائحة شعر يحترق فلم تعرف إن كان شعرها هو المحترق أم شعر الحيوانات.

أحست بجسد صغير يلمس ساقيها وبذيل ألسي يهتز بقوة ثم سمعت من يناديها باسمها عبر هذا الدخان الكثيف لكن لسانها لم يستطع الإجابة. لم تشعر إلا وهي ترفع عن الأرض لتُلف بغطاء ثم لتعاد ثانية إلى مكانها:

ـ كارين!

سمعت صوت برايان يناديها ولكنها بدل أن تراه رأت الجسدين ملتصقين في عناق حميم. أحست بالبرودة تلف جسدها فتمتمت «لا».

ـ هل أنت بخير يا كارين؟ أجيبي.

ـ أجل.

تساءلت أين هي لودي، وبدأت ترتجف.

ـ لا تتحركي... (قال لها ذلك ثم تركها مسرعاً).

راحت تراقب ألسنة النيران وهي تسمع أصوات الناس المتعالية وصهيل الخيول المذعورة، كان وجهها يؤلمها وفمها يشتم رائحة الشعر المحروق.

خرج طيف من بين الدخان ليركع قربها:

ـ كارين... أنا كوري.

أزاح الغطاء عنها، ثم وجه إليها ضوء المصباح بعيداً قليلاً عن وجهها:

ـ هل أنت مصابة؟

ـ هل خرجت كل الجياد؟ هل ألسي بخير؟

ـ ألسي بخير، لولاها لما وصلنا إليك، أخبريني أين موضع الألم.

ـ شعري.

ـ شعرك؟

www.elromancia.com

ـ أجل... إنه يؤلمني، لا بد أنه احترق.

حول الضوء إليها فأغمضت عينيها اتقاء البريق، ثم سمعت صوته يتمتم بذهول:

ـ سآخذك إلى الداخل يا كارين.

سمعته يأمر شخصاً وإذ بها تجد نفسها فوق حمالة نقلتها بعيداً عن النيران والحركة والصهيل.

فتحت كارين عينيها لترى نفسها في فراش برايان وحاولت أن تطلب نقلها من هذا المكان لكن المحاولة آلمتها. شجرة ميلاد صغيرة كانت تقف قرب النافذة، والأضواء الزرقاء تنعكس على الزجاج لتعطي منظراً وهمياً لشجرتين. ستحل أمسية الميلاد بعد بضع ساعات لكن لم يعد العيد يهمها فهديتها تلقتها منذ مدة لكن امرأة أخرى سلبتها إياها قبل أن تقدم هي على التمتع بها: «كنت له لكنه لم يكن لي قط».

كان كوري يمسك بيدها وهو يضع مرهما على أصابعها وذراعها، فقالت بصعوبة:

ـ هذا مؤلم.

ـ أعلم يا كارين. ليس لدي أي مخدر لإيقاف الألم ولكن الدكتور هولي سيكون هنا بعد قليل ليعطيك شيئاً.

دخل برايان الغرفة، متشح الوجه بالسواد، مبلل الشعر حيث الماء ينساب خطوط سوداء وركع أمام السرير:

ـ كيف حالها يا كوري؟

ـ لا بأس بها، لكن على الطبيب معاينة ذراعها.

ـ كيف حال الجميع؟

ـ بخير. النار أخمدت والحيوانات وضعناها في الحظائر التي لم يصبها ضرر خلف البيت.

ولمس وجه زوجته باصبعه.

ـ شعرك يا كارين... اوه... حبيبتي.

وأحست بشفتيه على خدها، فتساءلت عما جرى لشعرها الذي يؤلمها.

عندما وصل الدكتور هولي راقبت كارين حركاته من خلال جفنيها شبه المغمضين.

ـ يجب قص الخواتم التي لن نقدر على إخراجها بشكل طبيعي لأنها قد تمزق لها اللحم.

سمعت صوت برايان خالياً من المشاعر:

ـ قصها.

وأحست بملمس آلة باردة تبعه ألم حاد فوخز إبرة غيبها تدريجياً عن كل شيء.

عند منتصف الليل تململت في فراشها وإذ ببرايان يدنو منها دون أن يلمسها:

ـ هل تريدين بعض الماء؟

ـ أرجوك.

شربت من الكأس الذي قدمه لها وهي تشعر بألم في حلقها وساعدها وبثقل في عينيها وكأن فيهما رمالاً:

ـ السوداء؟

ـ إنها بخير والفضل يعود إليك.

أرادت السؤال عن ألسي والحيوانات الأخرى لكن شفتيها عجزتا عن نطق كلمة إذ تعامل الإرهاق والصدمة والدواء على إخلادها إلى النوم من جديد.

بعد ساعات فتحت عينيها لتجد برايان ينام قربها وهي المرة الأولى التي تراه فيها نائماً منذ العملية. راحت تتأمل قسماته: الفم السليم المسترخي. والوجه الخالي من الندوب والالتواء والتجعد. فتساءلت كما تساءلت دائماً عن طعم قبلته وهو في هذا الشكل الجديد وهذا الفم المغري.

واستفاق فجأة وتراجع على الفور ليجلس. كان ما زال يرتدي ملابسه التي لم يخلع منها سوى حذائه.

ـ كيف تشعرين الآن؟

ـ يدي تؤلمني وجسمي أيضاً.

مدت يدها الأخرى لتدفع شعرها إلى الوراء وإذ بها تلمس شيئاً خشناً، نظرت إليه فإذ بيدها مليئة بقطع من الشعر المحروق.

ـ أريد الذهاب إلى الحمام.

ـ أنا آسف يا كارين كان شعرك جميلاً، وأعلم أنك كنت تريدينه أن يطول ويسترسل لكن ما العمل؟

ساعدها لتقف فوجدت نفسها ترتجف وجسمها لا يكاد يستطيع حملها على المسير، فوركها الذي صدمته السوداء بالجدار يؤلمها.

أضاءت نور الحمام فراحت تتأمل في المرآة نفسها. بعد قليل خرجت لتجد برايان واقفاً متأهباً لمساعدتها. جلست على حافة السرير:

ـ أنا مستعدة لمغادرة الفراش.

ـ لكن كارين...

لم تنظر إليه، فساعدها على ارتداء روبها في يدها اليمنى وألقاه على كتفها اليسرى. كانت تستطيع وهي نصف مغمضة العينين أن ترى منظرها:

شعرها الأحمر الأشقر الذي استرسل إلى كتفها قد غدا مسترسلاً إلى أذنها من الجهة اليسرى، سليماً من الجهة اليمنى... أما وجهها فقد تلطخ بالاحمرار من أنفها إلى أطراف شعرها. تذكرت أن الصنابير كانت ساخنة، ولكنها لا تذكر أن وجههاحترق. هي تعلم أن شعرها يمكن أن ينمو... ووجهها سيشفى مع الوقت. فالوقت قادر على شفاء كل شيء.

ـ هل تريدين تناول طعام الفطور؟

ـ أجل... هل ألسي بخير؟

ـ أجل يا كارين لو وزعت الجوائز على الأبطال لما عرفت من

يستحق الجائزة الكبرى أنت أم هي.

هزت كتفيها وقد اختنقت الضحكة في حلقها، فما نفع أن تكونا بطلتين وبطولتهما ما أتت إلا صدفة.

سألها وهما جالسان أمام المائدة:

ـ هل ترغبين في الحديث عن الموضوع... كيف اكتشفت الحريق؟

تساءلت في نفسها أي حريق؟ وهزت رأسها نافية، ثم ركزت على تناول الطعام... كان عليها الكثير من التركيز لتستطيع قضاء الأيام المقبلة بسلام.

وجاءت سالي لتقف أمامها:

ـ كارين، هل أقص لك شعرك ليصبح له طول واحد؟

ـ شكراً لك، أود أن تقصيه.

وقف برايان ثم سحب لها الكرسي.

ـ علي الذهاب لأتفقد بعض الأشياء... هل ستكونين على ما يرام؟ يجب عليك البقاء في الفراش.

ـ لا أريد.

ـ هوني عليك إذاً، وسأعود بأسرع وقت ممكن.

عندما انهت سالي قص شعرها، نظرت إلى صورتها في المرآة فابتسمت وهي تفكر أنه في كل حال قصير تسهل العناية به أكثر منه طويلاً.

كانت تلك اللحظات ترفض التفكير بالحريق أو بالعمل الذي قامت به منقذة بذلك الجياد من الأذى. أما الآن وقد خرجت إلى الشرفة الخلفية المسقوفة حيث تطل على الاسطبل الذي لم يصب بكثير من الأذى فقد عاد إليها منظر لودي وبرايان ولما سمعت الهاتف يرن اعتقدت أنها لودي تتصل به لكنها سمعت صوت جولي على الهاتف:

ـ كارين؟ لقد سمعت الخبر منذ قليل هل أنت بخير؟

ـ أجل... أصبت ببعض الضرر وكنت محظوظة لأنني لم أصب

بأكثر من ذلك.

ـ من أخبرك؟

ـ اتصل بي برايان ولمّا لم يجدني في البيت أخبر لينا التي بدت متأثرة إلى حد كبير لكنها لم تذكر تفاصيل تذكر. فما الأمر؟

جلست كارين تسرد الواقعة بدءاً من وصولها إلى الاسطبل لكن وما إن أنهت القصة حتى كانت ترتجف والعرق البارد يتصبب من وجهها من جرّاء ذكرى التجربة المرّة المرعبة التي تذكرتها.

ـ سآتي حالاً لأعودك أخبري برايان. اعتني بنفسك سأراك فيما بعد.

كانت ما تزال جالسة في مكانها تدفن وجهها بيدها اليمنى عندما دخل برايان ودون كلمة جذبها إليه ثم نقلها إلى غرفة جلوسه وهو يهدهدها كطفلة صغيرة. عندما توقفت عن الارتجاف، مسح شعرها عن وجهها:

ـ ماذا حدث؟

دفنت وجهها في صدره، وبعد لحظات قالت:

ـ اتصلت والدتك... ستحضر الليلة بدل الغد.

ـ جيد (لمس شعرها القصير بشفتيه ثم أردف):

ـ لو نظرت إلى الخارج لعرفت أننا سنحتفل بعيد ميلاد أبيض.

ـ أعلم. (همست وهي تلف ذراعيها حوله متجاهلة للحظات ما ستواجهه فيما بعد. ولم يلبث أن استرخى جسمها تدريجياً فثقُلت عيناها في اغفاءة).

بعد فترة استيقظت لتجد نفسها نائمة على الأريكة متدثرة. راقبت من خلال عينيها المثقلتين بالنعاس ألسنة النار البرتقالية في المدفأة، وتعجبت كيف للنار أن تكون جميلة وقبيحة في الوقت نفسه.

فرض حريق الاسطبل جواً من الكآبة على روح العيد في المزرعة. مع ذلك لم يلغ برايان الحفلة المفتوحة لهذه الأمسية كما كان مقرراً منذ أسابيع. ما إن حلّت الساعة الثانية بعد الظهر حتى بدأ المنزل يضج

فيها ورقة ترشده إلى الشرفة المقفلة خارج المنزل، وعاد منها حاملاً «السرج» الجلدي الذي طلبه كوري لها عندما كان مع برايان في كندا، ووضعه في منتصف الغرفة. جلد أسود لماع يخلو من أي شيء ما عدا زركشة ومسامير فضية حول مقدمته.

نظر إلى كارين بعد أن قرأ البطاقة التي تقول بكل بساطة: «ميلاد سعيد يا برايان. من كارين».

ـ كيف حصلت عليه؟ المكان الوحيد الذي يصنع مثله هو في كندا.

فابتسمت له، وتمنت وهي تعض داخل شفتها لو أنها تستطيع معانقته ولكنها قالت فقط:

ـ الأمر سهل.

ضحك الجميع، فانحنى ليقبل رأسها... أما هديته لها فكانت حذاء جلدي مرتفع الساق مع حقيبة يد تناسبه. بعد أن اختفت كل الهدايا من تحت الشجرة قال برايان:

ـ هنا هدية واحدة بعد.

خرج إلى الردهة ثم عاد يحمل معطفاً جلدياً طويلاً له ياقة فرو تناسبه... وأمسكه لكارين إلى أن وضعت يدها اليمنى فيه ثم ألقى جانبه الأيسر فوق كتفها.

ـ إنه رائع يا برايان.

فرد عليها وهو يبتسم:

ـ هو يلائم لون شعرك.

أوصلت جولي الجميع إلى غرفهم. وعندما حاولت كارين الذهاب بدورها أمسك ذراعها السليمة ليسألها:

ـ أتودين شرب شيء؟

ـ نعم.

أعطاها كأساً عندما جلست على الأريكة في غرفة الجلوس ثم جلس إلى يمينها بعد أن كان في وقت مضى يجلس يساراً ليبعد عنها منظر الندبة

بالحياة.

ساعدت سالي كارين على ارتداء ثوبها الأزرق المخملي الذي صنعته لها جولي، بدت رغم الأثر الأحمر الذي تركته النار على وجهها رائعة. فقد أبرز اخضرار عينيها ولمعان شعرها. وكان في ذلك اليوم قد زارها الطبيب ففك الرباط الملفوف حول ذراعها، واستبدله برباط أصغر حجماً يحمي فقط أصابعها، مما أشعرها بالراحة أكثر.

ما إن وصلت جولي عند السادسة برفقة لينا والقاضي كريتون حتى طلبت من برايان أن يصف لها ما حدث.

راحت تفكر بأن لا أحد يعرف تماماً ما مدى الضرر الذي أحدثه الحريق الذي كان سببه بحسب رأي برايان تصادم الخطوط الكهربائية. ولمّا أبدى تقديره لكارين تجاهلته فالمشهد الذي رأته والذي كان سبباً في أن تكون في ذاك المكان في ذلك الوقت، لا يبرح مخيلتها.

غادر المدعوون المنزل، ولم يبق سوى لينا وجولي والقاضي وبرايان وكارين، في غرفة الجلوس الكبيرة عند مقدمة المنزل... وسألتها جولي:

ـ هل سيحضر برندا وأريك يا كارين؟

وقبل أن تجيب رمقت برايان بنظرة التقت بعينيه السوداوين اللتين لم تخبراها شيئاً:

ـ أجل، إنهما قادمان في الغد، إذا لم يكن الطقس رديئاً.

سمعت في أعماقها صوت برايان: «لو تركتني فستصبح مزرعة «بار» لي...» ربما بعد عودة لودي قد يغيّر رأيه بشأن بقائها في المزرعة بل قد يقدّم لي بعض المال للمغادرة ظناً منه أنني لا أطمع إلا بالمال. ليته يعلم أنني إلى الآن لم أمس دفتر الشيكات لأرى كم أودع لي من مال في المصرف.

عند منتصف الليل، شربوا أنخاب العيد ثم اجتمعوا حول برايان وشجرة الميلاد ليفتحوا الهدايا. وأعطت كارين علبة صغيرة لبرايان وجد

مع العلم أنه لم يكن للأمر فرق عندها ففي كلتا الحالتين يبقى برايان الذي كانت تلمس قسمات وجهه بحب قبل زواجها.

قبل خدّها قائلاً:

ـ ميلاد سعيد يا كارين.

ـ ميلاد سعيد يا برايان.

أدارت وجهها إليه، ثم لمست شفتيه بأصابعها، وهمست:

ـ يعجبني فمك.

ـ هل ستألمين لو عانقتك؟

ـ لا.

انحنى يعانقها وأنفاسه الحارة تلفح خدها السليم. كان يعانقها بتلك الرقة التي تذكرها منذ زمن بعيد. لامساً جسدها بكل شغف وحب مثيراً فيها كل مشاعرها حتى غرقت هي في أحضانه مستسلمة ليديه الحارتين وعناقه المتطلب.

«نعم، نعم» همست بينما هو يتابع عناقه برقة فيها رغبة عنيفة جامحة أثارت فيها لهيباً حارقاً.

أبعد وجهه عنها متمتماً:

ـ كان يمكن أن تتأذي بشكل خطير يا كارين، ماذا كنت تفعلين في الاسطبل؟

اتسعت عيناها وقد سمعت السؤال... لودي... الاسطبل... النار... لودي... خرجت شهقة من حلقها وهي تدفعه عنها، لتهرب على غير هدى إلى غرفتها.

حضّرت سالي الفطور متأخراً للجميع، وبينما كانوا يجلسون لتناول القهوة نظرت جولي إلى كارين وسألتها:

ـ كيف استطعت جعل ألسي تتركك وماذا قلت لها أن تفعل؟

فهمت كارين ما تريده جولي فسردت عليها ما حدث محاولة الابتعاد بتفكيرها عن الجزء الآخر من القصة. والتفتت إلى برايان:

ـ ألسي يجب أن تحصل على معاملة خاصة جداً، لأنها هي من أنقذت الاسطبل في الواقع.

راحت عيناه تنظران إليها وكأنهما تسألان عن سبب هروبها منه بالأمس دون أي تفسير أو توضيح. لكن لم يلبث أن اختفت النظرة والتساؤل لتحلّ مكانهما البسمة:

ـ سأقول لك ماذا سنفعل... سنزوجها بولدن مكافأة لها.

وضحك الجميع بينما أحست كارين برعدة خفيفة لعلمها أنه سيمنحها الجميل الذي طلبته منه منذ أسابيع.

غادر الزوار باكراً، تاركين لأنفسهم الوقت الكافي للوصول إلى «ثاوس» باكراً وبدا المنزل خالياً. وقف برايان وذراعاه حول جيدها يراقبان السيارة تبتعد. ونظر إليها:

ـ سأذهب لأساعد كوري، اذهبي للراحة قليلاً... اتفقنا؟

ـ نعم.

لما أصبحت في المنزل وحدها راحت تنتقل من غرفة إلى أخرى مبدية إعجابها بالزينة التي يعود بعضها إلى طفولة برايان بحسب ما أخبرتها جولي، وقد ذكرت لها أن بعض هذه الزينة قد صنعها والده وجده بأيديهما في وقت لم تكن الزينة تملأ المحلات كما اليوم.

أمسكت بقطعة زينة صغيرة، تمثل طفلاً في مزود ملفوف بقماش صوفي أزرق، لا يتجاوز حجمها الانشين... هل سيحصل برايان يوماً على أطفال يتمتعون بهذا الكنز من المصنوعات اليدوية؟ ارتجفت ثم توجهت نحو النافذة فرأت أن الثلج قد توقف عن الهطول... وسمعت وقع حذاء برايان الثقيل... وبعد دقائق دخل إليها.

حدقا إلى بعضهما، إلى أن قال:

ـ لا بد أنك تعبة يا كارين، بعد كل الإثارة والصحبة التي مرت بنا. كيف حال يدك؟

ـ إنها لا تؤلمني ولا تبدو سيئة كثيراً بعد أن وضع عليها الدكتور

هولي الشاش المرطب.

تقدم منها يحمل شراباً وقدم كأساً لها:

ـ لم تسنح لنا فرصة للكلام... أخبريني كيف اكتشفت الحريق؟ هل تمانعين في الحديث عن الأمر الآن؟

فهزت رأسها، وارتشفت القليل من شرابها...

ـ كنت أسير مع ألسي نحو الاسطبل وإذا بها تنبح وتدور حول نفسها فلما نظرت لأرى ما سبب فعلها هذا شاهدت النار.

ـ لقد كان معطفك على المقعد في الشرفة المغلقة. خلعته ثم سرت إلى الاسطبل بدونه؟

ـ لم يبدُ لي وقتها الطقس بارداً، وبما أنني كنت أرتدي كنزة سميكة خلعت المعطف.

ـ ألم تدخلي إلى المنزل؟

ـ بلى.. لقد دخلت المنزل يا برايان، لقد عدت لأقول لك شيئاً اعتقدت أنه مهم. ولكنك كنت مشغولاً، لذا عدت إلى الاسطبل.

ـ كان بإمكانك مقاطعتي... ماذا كنت أفعل؟

ـ كنت تغازل لودي.

رفع رأسه بحدة وقد ضاقت عيناه:

ـ أهذا ما اعتقدته؟

ـ هذا ما رأيته.

أخذ ينظر إليها دون أن يحاول الإنكار. بدا وكأنه غير مهتم بالسؤال عن الأمر المهم الذي أرادت قوله بل لم يهتم ولو بالاستماع إليه. ابتعدت عنه ولما وصلت إلى منتصف الغرفة نظرت إليه ثم قالت له بصوت ناعم لتخفي شدة الألم الذي تحس به:

ـ زواجنا كان كالسيرك منذ اليوم الأول. أعلم أن كل سيرك يجب أن يكون فيه مهرج لون شعره برتقالي. ولكنني لم أعد أهتم بأن أكون العرض الاستثنائي الغريب بالنسبة لك. لولاك ولودي، لما اكتشفت أنا وألسي

الحريق، لذا فمن يستحق الجائزة أنت ولودي.

وضعت كأسها على طاولة أمامها، ثم أخذت نفساً عميقاً وتابعت:

ـ كان حبك يجري في دمي جرياناً طبيعياً ولن أقدر على أن أوقفه لكن ثمة شيء وحيد أريده وهو أن لا أحبك بعد الآن.

خرجت من الغرفة تاركة إياه يحدّق فيها مذهولاً.

ذهبت إلى غرفتها لترتدي ثياب النوم. ستغادر «مرتفعات كالدويل» ستتركه وليكن ما يكن لن يهمها أحد.

اكتنف الفطور كالعادة الصمت، لكنها كانت تعي نظرة برايان الفاحصة لها. وتناولت القليل من الطعام ثم غادرت إلى غرفتها. وغيرت ملابسها وخرجت... خارج المنزل صفرت لألسي، ثم ركضت معها نزولاً فوق التل باتجاه البركة، كان الطقس بارداً ولكنه صاف. راحت كارين تتجول في المراعي المحيطة وهي تفكر في الوقت الذي ستترك فيه هذه الأرض.. وعادت في وقت متأخر من بعد الظهر وهي تتسابق مع ألسي نحو المنزل.

ما إن وصلت حتى رأت سيارة كاديلاك أنيقة تتوقف لتخرج منها لودي قاصدة المنزل باتجاه غرفة جلوس برايان فسألتها كارين دون أن تخفي كرهها لها:

ـ هل تبحثين عن أحد؟

ـ لقد جئت لأرى برايان.

ـ لماذا؟

ارتفع حاجبا لودي:

ـ أعتقد أنه لو أراد برايان إعلامك بما سنبحث لأخبرك.

باعدت كارين ما بين ساقيها ثم قالت بصوت أجش:

ـ ارجعي إلى سيارتك وارحلي من هنا.

فابتسمت لودي ساخرة:

ـ لقد دعاني برايان، مالك هذا المكان إن كنت قد نسيت.

ـ لا... لم أنس. ربما أنت من نسيت أنني سيدة هذه المزرعة الآن وهناك مكان لسيدة واحدة فيه. وعندما يريد برايان أن يغير هذا الأمر، سوف يبلغني، وإلى أن يفعل، اخرجي من هذه الأملاك.

رفعت لودي رأسها بكبرياء متجاهلة كارين ثم اتجهت نحو الباب.

ـ لا تكوني سخيفة، كنت أنتمي إلى هذا المكان قبلك.

تقدمت كارين لتقف في طريقها، ثم قالت بصوت بارد وغاضب:

ـ اخرجي من هنا قبل أن أرميك بنفسي خارجاً.

فضحكت لودي، فكان أن تراجعت كارين إلى الوراء وهي تقول بصوت منخفض:

ـ ألسي...

دنا منها الجسد الأسود وقد نفشت شعرها لتبدو ضعف حجمها العادي ثم زمجرت زمجرة خفيفة مكشّرة عن أنيابها البيضاء وإذا بها تبدو بعيدة كل البعد عن ذاك الحيوان الوديع الذي تعرفه كارين. ترددت المرأة:

ـ لن تجرؤي على هذا.

ابتسمت كارين وقد ضاقت عيناها:

ـ جربي.

وحدقتا إلى بعضهما والكره يطل من عيونهما وبقيتا كذلك إلى أن قررت لودي الانسحاب عائدة إلى سيارتها:

ـ سأخبر برايان بما حصل.

هزت كارين كتفيها غير عابئة. لعل ذلك يكون سبباً ليرميني خارج المزرعة لقد استدعى لودي إلى المنزل بعد أن غدت قادرة على تحمل رؤية وجهه ثانية. «كان عليه أقله أن يتخلص مني أولاً» المرارة مما فعله برايان جعلتها ترتجف لتحول الألم في نفسها إلى ألم جسدي تقريباً.

وقفت تنظر إلى السيارة الكبيرة المبتعدة. ثم ذهبت خلف المنزل إلى الشرفة المغلقة لتخلع حذاءها وإذا بها ترى برايان قرب الباحة يراقبها

وعيناه تتنقلان منها إلى السيارة التي كانت تختفي. التفتت إليه متسائلة كم سمع مما قالاته وشعرت ببرودة اقشعرّ لها جسدها.

توقفت في المطبخ.

ـ أنا لا أشعر بأني على ما يرام يا سالي، لا أريد تناول العشاء.

ودون توضيح ذهبت إلى غرفتها وأقفلتها، للمرة الأولى من الداخل وهي تقول بصوت مرتفع في منتصف الغرفة:

ـ لقد جعلتني أكرهك يا برايان ما عدت أسعد امرأة.

ولم تستطع تجنب التفكير ببرندا وأريك، اللذين سيخسران كل شيء برحيلها، لكن هل يخسران هما المزرعة أم تخسر هي عقلها؟ سوف يخسران بسبب حبها لرجل يستخدم جسدها في سبيل إشباع رغبته وشوقه إلى امرأة أخرى. وها هو يعاقبها لا لأنها خدعته بل لأنه يريد الانتقام بواسطتها من تلك المرأة.

استلقت في فراشها إلى أن طلع النهار. انتظرت خروج برايان من الباب الخلفي لتنهض من نومها ناظرة إليه من نافذتها. فلم تلبث أن رأته وكوري يركبان الشيروكي ويتجهان نحو جبال «جيمز» جنوباً. راحت تفكر بأن على أريك أن يحل مسألة القرض مهما كانت فلن يبقيها شيء، مهما كان غالياً على قلبها، في هذه الأرض لأن ذلك سيحطمها ويدمرها. لقد آن لهذا النفق الطويل المظلم الذي لن ينتهي إلا إلى هوة لا قرار لها، أن تكون له نهاية.

لم تستغرق وقتاً طويلاً في ملء حقيبتين بملابسها القديمة وبعض الثياب الجديدة التي أعطتها لها جولي. نظرت إلى المعطف الجلدي الذي أهداه إليها برايان في الميلاد: هذا لي.. سآخذه.

فتحت الدرج الأعلى في خزانتها، فوجدت دفتري البنك اللذين لم تفتحهما قط. فتحت الدفتر الأول ذا الجلد الأخضر لتقرأ رقم الحساب فإذا هو عشرة آلاف دولار. ثم فتحت الثاني وإذا باسمها كاملاً يطالعها

في الصفحة الأولى وحسابها فيه خمسون ألف دولار.

ذهلت كارين لكن سرعان ما أبعدت الدفترين ورمتهما في الدرج ثانية. فهذا المبلغ قد يعيلها سنين عديدة وقد يسدّ الدين الملقى على كاهل مزرعة «بار» لكن الخوف فيما لو أخذتهما أن يتهمها برايان بالسرقة. إنه قادر على فعل أي شيء مهم عظم.

حملت حقيبتيها إلى السيارة، ثم عادت إلى المطبخ:

ـ سالي؟

استدارت سالي مبتسمة:

ـ سأجهز فطورك بعد لحظة يا كارين.

لا بد أن هذه المرأة التي رضيت بها دون سؤال ستفتقدها بينما الرجل الذي تحبه لم يرض بها يوماً.

ـ لا يا سالي... أنا ذاهبة.

ـ متى ستعودين؟

ـ لن أعود... سأرحل نهائياً.

اتسعت عينا سالي المذهولة:

ـ لماذا؟

ـ ليس لي مكان هنا.

ـ لست أفهم... هل يعرف برايان؟

ـ أنا لا أفهم أيضاً، أما بالنسبة لبرايان فأنا واثقة من أنه يتساءل عن سبب بقائي لا عن عدمه... لقد كنت رائعة يا سالي وسأبقى على اتصال معك.

ركضت خارج المطبخ... فتبعتها ألسي على أمل مرافقتها لكنها احتضنت الكلبة مودعة وهي ترفض التفكير بما ستتركه هذه الكلبة من شوق في نفسها.

قادت سيارتها على الطريق الرئيسية باتجاه سانتا فاي وهي تعض على شفتها، فالمستقبل أمامها غامض وفارغ لكن ليس الوقت وقت دموع

الآن فأمامها الحياة كلها. ما إن قطعت المفرق المؤدي إلى «مرتفعات كالدويل» حتى أدارت رأسها ثم أعادته بسرعة لتنظر أمامها مباشرة.

كانت الساعة الحادية عشرة عندما وصلت نحو مدينة الباكويرك، وحجزت في نزل خارج حدود المدينة. ثم حملت حقيبتيها إلى الغرفة الوحيدة. فوضعتهما في الخزانة قرب الحمام. ونظرت بسرعة حولها ثم خرجت مقفلة الباب وراءها بالمفتاح لتتناول الغداء ولتعود بعد ذلك إلى فراشها.

كان أهم شيء في الوقت الحاضر أن تؤمن لنفسها السكن لذا جالت بنظرها في قسم الإعلانات الخاص بالسكن. الأماكن التي اختارت أن تراها كانت في مناطق تعرفها جيداً من المدينة، ولم تكن الشقق فاخرة أو وضيعة لذا استأجرت ثالث شقة زارتها. كانت شقة صغيرة فيها غرفة نوم واحدة وغرفة جلوس ومطبخ وحمام تستطيع أن تستدير فيه إن لم تفرد ذراعيها كثيراً ودفعت الأجرة من الشهر الأول إلى الثالث.

انتقلت إلى الشقة، وبعد أن رتبت أغراضها فيها. ذهبت إلى نادي «الليونز» لتترك فيه مقالات عن الكلاب المرشدة للعميان. قالت لها السكرتيرة إنهم قد يستخدمون هذه المقالات في نشراتهم ولكنهم لن يدفعوا لها شيئاً. ومع ذلك تركتها كارين، فهذه المعلومات ستصل عبر نادي «الليونز» إلى العديد من الناس، وهذا ما تريده بالضبط.

وكتبت لايربي تقول له باختصار ما حدث وتسأله ما إذا كان يستطيع استخدام مقالاتها في افتتاحياته وخاصة تلك التي تتناول العائلات التي بين أفرادها عميان.

يوم السبت بعد أن شعرت بالضيق من هذه الشقة الصغيرة قادت سيارتها باتجاه مزرعة بار وهي خائفة مما قد ينتظرها فقد مضى شهران منذ أن رأت برندا وأريك. قالت لشقيقتها عندما استقبلتها:

ـ ازددت وزناً يا برندا.

ماذا سيحل بها عندما يأخذ برايان المزرعة منهما؟ وارتجفت كارين

للفكرة، ولكنها لن تقول لهما. وليفعل برايان ما يريد من قذارة.

جلس الجميع لشرب القهوة ونظر أريك إلى زوجته ثم إلى كارين:

ـ لقد حضر برايان إلى هنا بالأمس.

ـ هل حضر إلى هنا؟

كانت تفكر بأنه قد يتصل، ولكن أن يقود سيارته كل هذه المسافة... وانقطعت أفكارها عندما خاطبها أريك:

ـ لم يصدقنا عندما أنكرنا معرفة عنوانك.

ووقف ثم ذهب إلى الغرفة الأخرى وعاد يحمل علبة جلدية صغيرة ناولها لكارين.

ـ لقد أحضر هذه وطلب منا أن نوصلها إليك لأنك قد تحتاجينها... بدا أفضل حالاً بالندبة الصغيرة. فلماذا لم يجرِ العملية منذ سنوات.

ابتلعت كارين ريقها لترطب حلقها الجاف:

ـ إنه وسيم... أليس كذلك؟ لقد كانت العملية هدية الميلاد لي.

ـ إذاً لماذا...

توقفت برندا عن الكلام بعد أن شاهدت النظرة على وجه كارين:

ـ بعض الناس يرتكبون الأخطاء وأنا منهم.

فتحت العلبة لتجد دفتري الشيكات اللذين تركتهما في خزانتها. وقربهما علبة صغيرة تحتوي على خاتمي الخطوبة والزفاف اللذي قطعا يوم أحرقت يدها، وقد أعيد إصلاحهما. ونظرت طويلاً إلى بريقهما الأخاذ، ثم أغلقت العلبة الصغيرة لتعيدها إلى زاوية العلبة الكبيرة، قرب دفتري الشيكات. في هذا الوقت لاحظت قطعة ورق مطوية في أسفل العلبة. ففتحتها بأصابع مرتجفة فطالعها الخط الأنيق. قرأتها ثم أعطتها لأريك وبرندا وتنحنح أريك بعد أن انتهى من القراءة:

ـ أتعرفين ما معنى هذه يا كارين؟

ـ إنها براءة ذمة... أي أن القرض الذي أخذته من برايان قد سُدِّد.

اتسعت عينا برندا.

ـ ماذا؟ دعني أرى.

جلس ثلاثتهم صامتين ثم سألت برندا:

ـ لماذا؟

هزت كارين كتفيها غير قادرة على أن تشرح شيئاً. ولم يلبث أن أعاد قراءة الورقة.

ـ لن نقبل بهذا يا كارين.

ـ لا شأن لي بالأمر. لكن اعلم أنّ برايان كالدويل رجل عنيد لا يقدر أحد على أن يؤثر في قراره أو يغيّره.

بعد أن تباحثا في شأن ذلك دون أن يصلا إلى نتيجة قالت كارين:

ـ اقبلا بها فهو قادر على الدفع فلعله يعتقد أنها تساوي ثمن خلاصه مني.

دفعت الحقيبة الجلدية نحو أريك.

ـ ضعها في خزنتك يا أريك.

ـ ألا تريدين خاتميك؟

ـ لا...

ـ ولا دفتري المصرف؟

ـ لن أحتاجهما.

ـ لا أدري.

رغم معارضة برندا واحتجاجاتها عادت كارين إلى الباكويرك باكراً بعد ظهر يوم الأحد، بعد أن وعدتها بالاتصال قريباً.

لم تستطع الحصول على وظيفة وكانت قد بدأت بفقدان الأمل عندما خابرها جورج رندل يطلب منها كتابة مقالات يومية في الشهر المقبل لأن النادي كان يقوم بحملة لجمع التبرعات السنوية.

ذهبت إلى النادي فاتفقت معهم على كل شيء ثم عادت إلى شقتها لتجد رسالة من ايربي في صندوق البريد يقول فيها:

«أنا آسف بشأن زواجك يا كارين، وقد سبق أن قلت لك ذلك، أما

بشأن المقالات التي أرسلتها فقد نشرتها وسأنشر أية مقالات أخرى لها الموضوع نفسه، وقد أرفقت رسالتي هذه بشيك. يمكنك العودة إلى عملك متى أردت».

ومررت اصبعها فوق رقم المبلغ السخي الذي كتبه على الشيك وهي تتذكر ما قاله برايان: هل تريدين أن يخسر ايربي وظيفته؟ ابتلعت ريقها، ثم استدارت في الفراش لتدفن وجهها في الوسادة.

لكن طرقة على الباب أبعدتها عن بؤسها لتسأل:

ـ من الطارق؟

ـ برايان.

لم تتحرك أو تجيب إلى أن كرر طرقاته على الباب وصوته المألوف يناديها:

ـ كارين؟

وقفت، تمسح يديها على سروالها ثم ترجع شعرها إلى الوراء وهي تبلل شفتيها بطرف لسانها بعد ذلك توجهت إلى الباب تفتحه لتواجه برايان وكأنه إله الانتقام. وقفت تحدق في وجهه إلى أن قال:

ـ هل لي أن أدخل يا كارين؟

ابتعدت لتفسح له المجال في الدخول إلى الغرفة الصغيرة. تأمل الأثاث البسيط والأوراق المجموعة على طاولة في زاوية غرفة الجلوس ولم تلبث أن عادت إليها عيناه السوداوان.

ـ كيف عرفت أين أسكن؟

ـ لم يساعدني أي من برندا وأريك لكن أصدقائي في شرطة سير الولاية كانوا يعرفون رقم سيارتك.

ـ ماذا تريد؟

تقدمت إلى المقعد الصغير وهي تشير إليه بالجلوس على الأريكة لكنه بقي واقفاً حيث هو يتأملها:

ـ هل لي أن اسألك عن خططك؟

www.elromancia.com

ـ هل اشتريت جميع من أعمل لديهم؟

ـ كوني عاقلة وعودي إلى البيت.

ـ كن عاقلاً مرة واحدة وضحي كما ضحيت. لقد كنت بيضاء اليد كريمة في كل ما قدمت لكنني أرفض أن يشاركني أحد بزوجي. أنا قد أرضى العيش مع زوجي إلى أن يفرقنا الموت لا إلى أن تفرقنا امرأة، وأنا لا أبالي بقوتك أو جبروتك.

ـ الأمر لم يكن كما تصورته يا كارين.

ـ لا ربما كان تقليداً يشبه الحقيقة.

ـ كنت اهنئها على نجاحها الكبير في سانت لويس هي من قبلتني. أما أنا فلم أقبلها فلو بدوت حينها ممسكاً بها فذلك لأمنع وقوعي أو وقوعها ولم أكن أبادلها الحب كما تتهمينني.

ولأنه لم يكن معتاداً على شرح تصرفاته لأحد فقد وجد صعوبة كبرى وهو يتكلم بينما عيناها تحدّقان فيه.

ـ ماذا كانت تفعل في البيت إذن؟

ـ لم اسألها لأنني لم أكن أهتم. كارين...

تقدم منها فرفعت يديها وكأنها تريده أن يبقى بعيداً:

ـ لقد قالت إنك دعوتها للعودة بعد الميلاد.

هز رأسه:

ـ أجل... كان لها بعض الأشياء في المنزل وقد سمحت لها بنقلها أو حرقها وهذه الأشياء عبارة عن عقود مزيفة لا تساوي بضع دولارات معدودات لكن قد تفيدها في عملها.

ابتسم:

ـ هل كنت حقاً ستتركين السي تنقض عليها؟

ـ أجل... هل أعجبها وجهك الجديد؟

ـ أجل... لقد تأثرت به تماماً. وأنت يا كارين؟ هل يعجبك؟ أمن السهل الآن أن تنظري إليه؟

كان يدنو منها رويداً مما جعل أنفاسها تتسارع. أرادت الهروب نحو الطاولة لكن بفعل قوة داخلية جذبتها استدارت إليه محدّقة في وجهه تتذكر قسماته القديمة التي عرفتها باللمس قبل أن يرتد إليها بصرها.

ـ أحب وجهك القديم كان له ميزة خاصة.

ـ ميزة خاصة؟

ـ هذا توضيح ليس إلا.

نظر إلى يدها اليسرى العارية من الخواتم.

ـ لقد أوصلت أغراضك إلى أريك ظناً أنك قد ترغبين في استعادة الخاتمين.

ـ لماذا؟ لم يكن لدي زوج إنما رجل أعيش معه.

رمت الكلمات في وجهه بُغية إيلامه كما تألم هي. لكنه وإن كان قد شعر بشيء ما فهو لم يظهره. وتابع كلامه وكأنها لم تتكلم:

ـ لماذا لم تستخدمي أي مبلغ من المال في حسابك؟

ـ لدي ما أحتاج إليه من مال. ولكن أريك لم يفهم براءة الذمة تلك وقد عللت له ذلك بأنك إنما ترسلها إليه لسعادتك بتخلصك مني. لقد قدّمت لي المال الكثير وأنت تعتقد أنني جشعة لا يهمني سوى المال.

وصل إليها بخطوة واحدة. ولم تكن يداه رقيقتان عندما أدارها نحوه.

ـ اللعنة على كل شيء يا كارين...

انحنى إليها يعانقها بقسوة، فكان أن ارتد رأسها إلى الخلف محاولة الابتعاد عنه وكما بدأ بسرعة تركها بسرعة ثم جذبها إلى الأريكة وتابع:

ـ من أين أبدأ؟ أمن حيث الخطأ الأول الذي ارتكبته بحقك؟ وهو واحد من بين سلسلة أخطاء، نظرت إليها عيناه السوداوان ثم أردف: بدأ الأمر يوم خطوت أمام سيارتي فظننتك مراهقة غبية تحلم أحلام اليقظة وهي تجتاز الطريق منذ ذاك الوقت وأنا أهوي. لقد حسبت نفسي إنساناً مميزاً يسعى إلى مساعدتك، مساعدةٍ ما كنتِ بحاجة إليها إطلاقاً.

تأوه وهو يتذكر:

ـ لقد فعلت بتمثيليتك المخادعة أكثر مما أستطيع أن أفعله بمالي، ذلك أنك وضعت فيها قلبك وروحك.

وقف مبتعداً عنها وهو يقول: أنا من كان الأعمى لا أنت.

جلست تصغي إليه فكان إن استدار ثم عاد ليقف أمامها:

ـ تستطيعين العودة إلى مهنة التدريس، أو استعادة وظيفتك في الجريدة... لن أقف في طريقك.

انتظر ردّها وعندما لم تجب أردف:

ـ أريدك بكل جوارحي أن تعودي إلى البيت برفقتي.

ـ لماذا؟

ـ لم تعد الحياة كما كانت منذ رحيلك... ألسي وبوتش تجلسان في الخارج بانتظارك كل مساء. وسالي تكاد لا تكلمني وكوري وبخني مراراً. أما جولي فهي على استعداد لأن تستبدل ولدها بك.

وضع يديه في جيبي سرواله:

ـ أنا لست سوى رقم زائد هناك.

ـ وأنت يا برايان؟ لماذا تريد عودتي؟

ـ أنت زوجتي.

ـ هل هذا كل شيء؟

أخذ قلبها يرجوه متوسلاً أن يقدّم لها الرد المنشود.

ـ لقد قبلتُ بأقل مما كنت أريده من حياتي عندما تزوجتك يا برايان ولكنك حولتني إلى امرأة جشعة متملكة... أنا أريد كل شيء: مالك ومزرعتك وجسدك وقلبك وروحك. وسأرضى بالثلاثة الأخيرة ولن أقدّم أي تنازل آخر. فإن لم تقبل بذلك استأجر عشيقة تُرضي احتياجاتك. فأنا لدي الكثير مما أقدمه للشخص الذي يعتبرني إنسانة ذات مشاعر حقيقية.

وبدا كأن الزمن قد امتد إلى الأبد قبل أن يخطو نحوها خطوتين ويركع أمامها، وليضم يديها بيديه:

ـ سأمنحك حبي كله وأي شيء آخر تريدينه. أنت الآن تنظرين إلى إنسان مختلف يا كارين. أنا أتنازل لك عن كل شيء: مالي، مزرعتي، جسدي، قلبي وروحي كلها أقدّمها لك.

ترك يديها ليجلس قربها على الأريكة. استدار ليضع يديه حول وجهها:

ـ أحبك يا كارين انغرام كالدويل. أحببتك منذ زمن بعيد بعيد. حتى أنني لا أذكر متى حدث أو بدأ ذلك.

لامست أصابعه فمها إلى أن وصلت إلى زاوية فمها فاستقرت هناك.

ـ لقد مضى زمن بعيد منذ أحببت لودي... كانت علاقتنا قبل الحادث غير مستقرة. لأنني ما كنت بالنسبة لها أكثر من عجوز يستقر سعيداً في مزرعته. لم أمنعها من العمل لأنني كنت أعتقد أن النساء يحتجن إلى العمل. لكن كل ذلك لم يكفها فقد أرادت أن تحصل على رجال آخرين متزوجين، ولما عارضتها تشاجرنا مراراً حتى غدا الأمر بالنسبة لي غير هام، ولا أخفي سراً إن قلت لك إن الحادث قد أبهج قلبي لأنها ما عادت تطيق رؤيتي وهذا ما أردته.

ـ اوه... برايان...

كان الألم الذي شعرت به لأجله بادياً في همستها وتنفس الصعداء ثم تابع:

ـ شعرت بالسعادة يوم طلاقنا. أما عندما التقينا فقد ظننتك صغيرة وعاجزة يومها أثرت في قلبي مشاعر الأبوة. إلى أن قبلتك.

ضحك، ثم صمت برهة طويلة فقالت:

ـ وبعد ذلك؟

ابتسم:

ـ بعد ذلك ما عاد تفكيري فيك أبوياً إطلاقاً. لقد اتخذت عماك ذريعة لأبقيك معي لأنك غدوت البهجة لقلبي ولقلوب أخرى. فسالي أحبتك منذ زيارتك الأولى حتى كادت تترك العمل لتعتني بك ولم تكن

سالي وحدها من أحبك بل جولي ولينا أيضاً. وعندما ظننتك تخجلين من النظر إلى وجهي هاجمتك لأنتقم منك ومن جرأتك في الاهتمام بمظهري. ثم طلبت هدية الميلاد تلك فأحسست بمشاعري تتشوش. فجأة أردت أن أهبك هديتك. كنت أعلم منذ أشهر مدى خطأي لكنني كنت عنيداً لأعترف به. لم أكن معتاداً على أشخاص يضحون من أجل الآخرين لذا لم أصدق أن في الكون مخلوقة خالية من كل أنانية.

ولمس باصبعه خدها، ومرره على منحنى فكها، فابتسمت للمرة الأولى:

ـ لقد كنتُ كالطفل، فلم استطع الانتظار لأهبك هدية الميلاد ويوم ظهرت لودي، كان كل ما استطعت تذكره هو الطريقة التي كانت تنظر إليّ بها بعد الحادثة ولم أكن أدري إذا كان عليّ أن أشكرها أو أكرهها، فهي السبب في أن التقيتك.

لم تحاول كسر الصمت الذي ساد جو الغرفة.

ـ لقد أبعدت لودي عن المنزل قبل أن يحضر كوري ليخبرني عن الحريق وعن وجودك في الاسطبل. ليتك تعرفين بما شعرت حينها... فلو خسرتك لكنت... ليلة الميلاد أردت أن أمنحك حبي، ولكنك هربت مني وعرفت لماذا... ولكنني لم أشأ الاعتراف بخطأي. أردت أن أتوسلك لتمنحيني فرصة أخرى، ولكنني كنت قد تأخرت كثيراً وبعدها تركتني.

راقبته بذهول وهو يكافح للتغلب على عدم ثقته بنفسه، وتابع:

ـ عندما علمت جولي بذهابك أصرت على أن تعرف أين أنت ووعدت أن تجدك وتحميك مني كما أقسمت أنها لن تدعني أراك بعد ذلك، هذا ما كانت تشعر أنني أستحقه... أنا أشعر بالغيرة منك ومن أمي. أتعرفين هذا؟

ـ لكن ذوو الشعر الأحمر هم من يغارون.

هز رأسه:

ـ أحبك الجميع... لكنني أريدك لنفسي فقط كارين؟

ـ نعم يا برايان.

ـ أريد منك معروفاً.

ـ اسأل ما تريد.

ـ هل يمكن أن تحبيني ثانية؟

أحست بسعادة غامرة تعصر جسدها كله بعد أن أدركت أن برايان قد عاد إلى أحضانها، يريدها كما تريده:

ـ ربما... مع بعض التمرين.

ـ كم تحتاجين من وقت للتمرين؟

ـ ابتداءً من الآن؟

ـ أجل...

قبلها بحنان ثم أبعدها عنه لينظر إلى عينيها.

ـ كارين...

انحنى ثانية يقبلها بحرارة، وهو يحس بجسمها يرتعش بين يديه.

ـ حبيبتي..

رفعت إليه عينين فيهما عاصفة من العواطف اللاهبة فحملها عبر الغرفة الصغيرة إلى غرفة النوم، ليضعها فوق السرير، وهناك تنهدت فقال:

ـ متى ستقولين إنك تحبينني؟

أخذ يعض شفته وهو تحت رحمتها ينتظر ردها... فتنحنحت.

ـ أحبك... أحبك يا برايان.

أمسكت بوجهه بين يديها وجذبته إلى حيث تستطيع الوصول إليه:

ـ هل ستعودين معي إلى البيت يا كارين؟ أنا أرغب في عودتك أكثر من أي شيء في الدنيا.

تحركت رموشها قليلاً، ثم ارتفعت لتبرز عيناها الخضراوان:

ـ غداً؟

جذب جسدها الذي يضج بالحب والإثارة إليه ثم احتواها في عناق صمم أن يبقيه من الليل حتى الصباح.

كانت السحب تسير بسرعة فوق المرتفعات وهما يغادران سانتا فاي في اليوم التالي ويستديران نحو المزرعة. وسألته كارين:

ـ هل من المحتمل أن يهطل ثلج بعد؟

ـ نعم يا حبيبتي.

وتنهدت وعيناها الحالمتين على زوجها:

ـ لِمَ لا ندعو أقاربنا لقضاء العطلة الأسبوعية معنا؟

تحولت عيناه عن الطريق لتلتقيا عينيها.

ـ سنكون في شهر العسل الأسبوع القادم.

ـ شهر العسل؟ لكننا متزوجان منذ سبعة أشهر؟

ـ وهل يشكل هذا عائقاً؟ سأجري كل الخطوات التمهيدية وستتمتع بإقامتنا في جزيرة «كايوى» التي أسمع أنها مكان مميز.

ـ أية خطوات تمهيدية؟

ـ اسمعي.. أنت ملكي وهذا لا شك فيه. أليس كذلك يا كارين.

فكت حزام الأمان ثم انزلقت إلى الفراغ الفاصل بين مقعديهما:

ـ أنا لك يا برايان... وأنت؟

ـ أنا لك أيضاً يا كارين.

أوقف الشيروكي إلى جانب الطريق، وما إن استدار إليها حتى رآها تنظر إليه بعيني الحب الأعمى.

●●●